

... كتاب اليوم ... قطاع الثقافة ...

أحزان السماء



محمود السعدني

كتاب اليوم

يصدر عن دار
أخبار اليوم
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

رئيس التحرير :

نبيل أباطة

Amly

□ يناير ١٩٩٦ □

ديار	١٠٠٠٠٠٠٠
دوم	١٥٠٠٠٠٠
ليرة	٣٥٠٠٠٠
غلس	١٥٠٠٠
غلس	٧٠٠٠
غلس	٣٥٠٠
ريالات	١٠٠
قرش	٢٢٠٠
دينار	١٠٠٠
مستقما	١٧٥٠
س	٧٥
الحبشة	٦٠٠
البحرين	١٠٠٠
سلطنة عمان	١٠٠٠
سنت	١٥٠
ريال	١٥٠
ريال	١٥٠
بنى	٨٠
غزى	٦٠
البحرين	١٠٠
دوم	١٥٠
ريال	١٠٠
جك	١٧٥
غزى	١٠٠
مارك	١٠٠
ليرة	٢٠٠٠
فلورين	١٠٠٠
ليرة	١٠٠
فرانك	١٠٠
دراخمة	١٠٠
شلق	١٠٠
كرون	١٠٠
كرون	١٠٠
روبية	١٠٠
سنت	١٠٠
تورون	١٠٠
سنتا	١٠٠

محمود السعدني

جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ جنيها مصريا

● يمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

٢ (أ) شر الصحافة
القاهرة ت. ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ۵۷۸۲۵۹۰

مقدمة الكتاب

بقلم:

فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

●● استمع فضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى إلى فصول هذا الكتاب، قرأها عليه واحد من مريديه، فأبدى إعجابه بما جاء فيه، وأثنى على كاتبه ودعا له بالتوفيق والساداد.

ولما طلب منه مريدوه أن يكتب مقدمة للكتاب، رحب على الفور، وكتب هذه الكلمات الطيبات ●●
« ما أحسن ماسمعت، وما أروع مادعيت إليه، وما أروع استجابتي له.

فالكاتب القدير الأستاذ محمود السعدنى، الذى طوف بأديه وفكره ماطوف، وأثرى المكتبة الأدبية والسياسية بما خلف، أهل لأن يجعل الله لدينه نصيبا من أدبه، وحظا من قلمه. فهنئنا له حين يتوج رحلته القلمية بهذا الشرف العالى، الذى عاش فيه مع كتاب الله، وبدأه بأول مرحلة فيه، وهى الصوت الذى نطق، بعد الأذن التى استمعت، وأشاعت أنغام الجلال، فى أذان الخلق جميعا.

ولقد كان الناس يحسبونهم فى أقل منازل الدين واليقين، لأنهم يرون فى غيرهم أعلام علماء، وفحول مُعلمين معلمين. وقد ارتضى هؤلاء الكبار، أن يكون حظهم من المجتمع فى هذه المكانة، وارتضوا أن تكون مكانتهم عند الله، لأنهم الصدى الحلو

الشلاف بريشة الفنان :

سيد عبد الفتاح

من كلام الله وحسبهم أنهم كانوا جنودا لكلمة الله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

فهؤلاء من جنود الحفاظ، وقادة التحفيظ، ومنهم استقبال العلماء مافسروا، وأخذ الفقهاء عنهم ما اجتهدوا، وأخذ الأدباء منهم ما دبجوا به عيون المقال، وفصل الخطاب.

فهنيئاً لهم أولاً، وهنيئاً للكاتب الذى رفع اعتبارهم فوق كل اعتبار، وجعل كل متكلم فى الدين، لا يتكلم إلا بحجة مأخذ عنهم، وبانضباط ماتلقى منهم، فهم الذين صححوا لكل لسان كيف يتكلم بالقرآن.

إن هذه الكتيبة من القراء الذين شددوا بالحن السماء، وبتأليف الله لهم، لم يكونوا مكررين لا أداء، ولا أصواتاً، ولا لحناً، بل لكل واحد منهم نغم يخدم النص.

فمنهم قمة الأحكام كالحصرى مثلاً، ومنهم قمة الصوت الجميل كعبد الباسط، ومنهم قمة الفن الرفيع الرائع، المستحيل الجميل، كمصطفى إسماعيل، ومنهم جامع كل ذلك فى إتلاف لا يرتفع فيه فن على فن كالشيخ محمد رفعت، فهو كل هؤلاء جميعاً، ويزيد أنه عالم بما يقرأ، تستطيع أن تفهمه بمجرد نطقه للكلمة، ولحبيه - فى عصره - حكايات عن هذا الفهم الرائع لما كان يقرأ فى مسجد فاضل بدرب الجمامين.

فرحمهم الله جميعاً، ورضى عنهم، وجعل منهم أسوة للجيل القادم، لا يستنكفون أن يكونوا كما تسميهم العامة «فقهاء» وهم فى الحق «فقهاء» بمفهوم الخاصة.

ورعى الله الأستاذ السعدنى وجعل ما قدم فيهم تاجاً لما قدم فى سواهم، فسواهم خدم كلام الناس، وهؤلاء خدموا كلام الله. بارك الله فيك يا محمود، وبارك منك، لتكون أسوة لإخوانك، فرسان القلم، ليجعلوا من كتاباتهم جانباً لله، فذلك خير وأبقى.

محمد متولى الشعراوى

فى البدء كانت الكلمة !

محمود السعدنى

هذا الكتاب - ألحان السماء - صدر أول مرة فى أول أبريل عام ١٩٥٩.. وقبل موعد صدوره بعدة أيام كان العبد لله يقيم فى سجن القلعة متهماً بالشيوعية! ولم تتح الفرصة للعبد لله للاطلاع على الكتاب أو الاحتفاظ بنسخة من نسخته، لأن جميع النسخ اختفت عن الأسواق خلال شهر رمضان.. ولم أتمكن من الحصول على نسخة من الكتاب إلا بعد ذلك بسنوات ومن فوق سور الأزبكية.. وحتى هذه النسخة ضاعت منى بعد ذلك، واضطرت إلى نشر بيان ناشدت فيه القراء الذين يحتفظون بنسخة من الكتاب أن يرسلوها لى شاكرين.

وتفضل أحد القراء فأرسل لى نسخة من الكتاب، واكتشفت بعد النظرة الأولى أنها فقدت بعض صفحاتها، وأن الزمن أكل الرسوم والنقوش التى كانت على الغلاف.

وبعد فترة تلقيت صورة من الكتاب أرسلها لى مشكورا الشيخ أحمد الرزىقى.. القارئ المعروف.. ولم أفكر فى إعادة طبع الكتاب إلا بعد رحلة السياحة الطويلة التى قمت بها مرغماً خارج مصر، وبعد أن اكتشفت خلال الطواف بأنحاء العالم العربى، كم هو ثمين هذا الكنز الذى وهبنا الله إياه، متمثلاً فى هذا الفن العظيم، فن قراءة القرآن الكريم.

محمد صديق المنشاوى والشيخ محمود على البنا والشيخ فريد السنديونى والشيخ محمود عبدالحكم ؟
وهناك أكذوبة ضخمة تتردد هنا وهناك اختلقتها وأشاعتها جماعات الإرهاب، التى ترفع شعارات دينية، أكذوبة تقول : إن الصوت الجميل يتعارض مع القراءة الشرعية.. وهى أكذوبة بلا جدال، لأن سيد الخلق جميعا ونبى الإسلام ورسول الله إلى الناس جميعا سيدنا محمد بن عبدالله كان له رأى يختلف عن رأى جماعات الإرهاب.

فقد عزم الرسول الكريم على تعليق جرس كبير فوق سطح أول مسجد أقيم فى الإسلام.. وبينما الصحابة منهمكون فى رفع الجرس فوق سطح المسجد، إذ جاء أحد الصحابة وقال للرسول : يارسول الله: لقد رأيت فيما يرى النائم أننى أصعد على سطح هذا المسجد وأنادى المسلمين للصلاة بدعاء، وراح الرجل يردد الدعاء الذى رآه فى المنام: « الله .. أكبر الله.. أشهد أن لاإله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمدا رسول الله.. حى على الصلاة.. حى على الفلاح.. الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.. »

وبدت السعادة على وجه الرسول الكريم وقال للرجل.. نعم مارأيت. وتهللت أسارير الرجل وتوجه قاصدا الصعود على سطح المسجد ليؤذن للصلاة. ولكن الرسول الكريم استوقف الرجل بحزم وقال له: دع بلالا يؤذن، انه اندى منك صوتا.

هذا قانون من قوانين الاسلام وضعه الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه، قانون يمنع الجمع بين وظيفتين فى وقت واحد، فمن حق هذا المسلم أن يحلم وهو مأجور على حلمه الجميل، ولكن يؤذن؟ فلا وألف لا. لأن رفع الآذان وظيفة سيدنا بلال، ولسبب بسيط، هو أنه اندى صوتا، وبعبارة أخرى، صوته أجمل وأمتع!

واكتشفت خنارج الحدود السر وراء الطلب الذى تقدم به الملك محمد الخامس إلى السلطات الفرنسية وهو فى منفاه الإجبارى للسماح له بالاحتفاظ بعدة أسطوانات للشيخ عبدالباسط عبدالصمد.

واكتشفت السر وراء استدعاء الشيخ الشعشاعى وزميله الشيخ شعيشع إلى بغداد لإحياء ليالى ماتم الملك غازى ملك العراق. واكتشفت السر وراء إصرار عثمان حيدر آباد أحد أمراء الهند العظام وأحد أثرياء العالم فى عصره على دعوة شيخ القراء الشيخ محمد رفعت لإحياء ليالى شهر رمضان فى قصره العظيم ومقابل أى كمية من الذهب يطلبها الشيخ رفعت.

وبعد عودتى إلى مصر هالنى مدى الفرق رهيب بين مشايخ الأربعينات والخمسينات والستينات وبين مانسمعه الآن، خصوصا السادة المشايخ الذين احترفوا تلاوة القرآن فى جهاز التليفزيون.. أصوات ملساء وأخرى صلعاء، وأغلبها بلا نبض ولا إحساس.

ما الذى جرى ؟ وكيف تغيرت الأحوال ؟ ولماذا انحدر المستوى على هذا النحو الذى لم يكن يتوقعه أحد على الإطلاق ؟ أين لجان الاستماع بأجهزة الاعلام؟ أين الأساتذة الكبار الذين كانوا حجة فى علم القراءات، كالشيخ محمد الصيفى والشيخ محمد الفيومى والشيخ منصور الشامى الدمنهورى ؟ أين أصحاب الحناجر الذهبية التى كانت تخلق بأفئدة الناس إلى السماوات العلا؟ كالشيخ منصور بدار والشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبدالباسط عبدالصمد؟ أين المشايخ العظام الذين قدموا ألوانا من فن التلاوة كتب لها الخلود مع الأيام ؟ أين الشيخ الشعشاعى والشيخ عبدالعظيم زاهر والشيخ أحمد سليمان السعدنى والشيخ

وإذا كان هذا هو حكم رسول الله ونبي الاسلام، فمن هو هذا الذى من حقه أن يحكم بعد ذلك؟

كان الشيخ على محمود يرحمه الله يرفع الأذان من فوق مأذنة سيدنا الحسين فيجتمع عشرات الألوف في الميدان للاستماع إلى أذان الشيخ، واليوم نستمع إلى عشرات الميكروفونات عبر الشوارع والساحات، فنتمنى أن نهجر بعيدا عن هذه الأصوات. كان الشيخ على محمود ينفذ وصية رسول الله، وهؤلاء السادة من أصحاب الأصوات القبيحة يتحدثون رسول الله ويخالفون وصيته.

وكان لابد من اصدار هذه الطبعة الجديدة من الكتاب. وهناك قضية أخرى.. فقد كنت أعلم وأنا أشرع في كتابة سطور هذا الكتاب أنني أخوض في حقل الغام. والسبب أن السادة المشاهير من قراء القرآن صاروا كنوداى كرة القدم، لكل منهم معجبون ومتعصبون وأنصار. ولقد حدث ماتوقعته بالتمام والكمال، عندما هاجمت الشيخ الطيلاوى لجهله وضيق أفقه وعدم اعترافه بأحد غيره من القراء، اتصل بالحاج إبراهيم نافع وهمس له بأنه يخشى أن يكون وراء الهجوم عليه القارئ الدكتور نعينع. وعندما وصفت الشيخ نعينع بما يغضبه ويرضى الله، اتصل بالصديق اللواء عبدالحليم موسى وهمس له بأنه يخشى أن يكون وراء الهجوم عليه الشيخ الطيلاوى. أما الشيخ الطيلاوى فقد لقنته درسا لاأعتقد انه سينساه، عندما اتصل بى تليفونيا معاتبا، فأغرقته في بحر من الأدب الرفيع ومن بحر الشاعر الكبير الحطيئة ومن بحر أجداده وأحفاده وإلى آخر العنقود الشاعر عبدالحميد الديب. أما الدكتور نعينع فلم أظفر به بعد، وأرجو أن يلهمه الله فيتصل بى شفاهة أو تحريرا وأرجو أن يقوينى الله لكى أجعله يفهم انه ليس كل الخيل يصلح للرهان!

كما انهالت على العبدشه عشرات الخطابات من القراء، كل قارئ يريد من العبدشه أن يضع قارئه المفضل على رأس قائمة القراء.

وسأكتفى في هذا الكتاب بعرض نموذج واحد من هذه الخطابات واخترته لعدة أسباب من بينها أن صاحب الخطاب يعيش في البرازيل واسمه يحيى عاصم، كما انه يبدو من سطورهِ سميع قديم ومن أنصار الشيخ كامل يوسف البهيمى. وهو غاضب لأننى حشرت الشيخ الشعشاعى والشيخ الحصرى بين عمالقة القراء، كما انه زعلان لأننى تجاهلت الشيخة سكيانة حسن، وهى في رأيه السيدة الأولى وربما السيدة الوحيدة التى نقشت اسمها على صفحات فن تلاوة القرآن الكريم.

على العموم. هذا هو كتابى : « ألحان السماء » بين أيديكم، وأرجو أن أكون قد أدبت الأمانة، وكما ينبغي أن تكون. وأرجو أن يكون للعبدشه أجر المجتهد، وفي الاسلام للمجتهد المخطئ أجر واحد وللمجتهد المصيب أجران. وألف رحمة ونور على المشايخ الكبار الذين سبقونا إلى رحاب الله. ونسأل الله التوفيق للمشايخ الذين على قيد الحياة!

محمود السعدنى

أحمان السماء



صوت
السبع

الأصوات كالوجوه لكل منها سحنة خاصة ! هناك أصوات تنفر منها .

وأصوات تدخل السرور عليك ، وأصوات ترتاح إليها ، وأصوات تجعلك - بالرغم منك - تعشقها وتحبها .

والأصوات كالمعادن بعضها كالصفيح ، وبعضها كالفضة وبعضها له بريق الذهب ، وبعضها له رنينه ، ويندر جداً .. أن يكون الصوت من ذهب .

من هذه الأصوات الذهبية صوت الشيخ مصطفى إسماعيل ، وفي الماضي القريب كان صوت الشيخ منصور بدار ، الذى اعتزل القراءة وآثر الراحة فى قريته .

ولكن هناك من بين الأصوات التى سمعناها - وما أكثرها - صوت يقف فريداً غريباً باهراً ، وسر غرابته - فى رأى العبد لله - أنه استمد طبيعته من جذور الأرض ، إنه صوت المرحوم الشيخ محمد رفعت .. صوت الشعب .. فمن أصوات الشحاذين والمداخين والندابين والباعاة الجائلين ، استمد المرحوم الشيخ محمد رفعت صوته . فخرج مشحوناً بالأمل والألم ، مرتعشاً بالخوف والقلق عنيقاً .. عنف المعارك التى خاضها الشعب ، عريضاً .. عرض

الحياة التي يتمناها .. ولذلك كتب لهذا الصوت البقاء وسيظل
إحدى علامات الطريق في تاريخنا الفني الطويل .

ولقد نشأ الشيخ محمد رفعت في حى شعبي ومات فيه، وفي حى
البغالة والسيدة زينب اصطخبث بأسماع الفتى الضريس الصغير
أصوات كثيرة، استطاع أن يخزن منها ذخيرة ضخمة، واستطاع
بعد ذلك أن يمزجها ويهضمها وأن يستخرج منها في النهاية
صوته الخالد الذي نفذ إلى أعماق الناس فأبكاهم وأشجاهم ..
وهزمهم هزاً.. ولا يهز أعماق الناس كالحقيقة والصدق. ولقد كان
الشيخ صادقاً في إنفعاله، وكانت طبقات صوته ونغماته حقيقية
ماخوذة من واقع الناس، ومن فنونهم، من أسواقهم وندواتهم
وأفراحهم البسيطة.. وأحزانهم العنيفة.. ومعاركهم القاسية مع
الحياة .

ولكن الفنان العملاق رفعت لم يقتنع بدراسة فنون البسطاء، بل
راح ينهل من الفن الموسيقي الرفيع، وعندما مات خلف ثروة كبيرة
من اسطوانات باخ وموزارت وبيتهوفن وليست، وعدة اسطوانات
أخرى للعازف الكبير باجانينى، وكان رفعت يقضى أمسيات طويلة
مع هؤلاء العباقرة الأفذاذ يستمع إلى النغم الرائع الذي أبدعوه
فظل مخلداً على الزمان .

ومن الدراسة الشاقة الطويلة للنغم الرائع وفنون الشعب،
استطاع رفعت أن يبقى في عالم الفنون راسخاً كالهرم، خالداً
كرسالات الأنبياء .

ولم يكن من قبيل المصادفة أن يقترن ظهور الشيخ محمد رفعت
بظهور عبقرى من نفس الطراز هو الشيخ سيد درويش، لم تكن
مصادفة، فقد كان الشعب قد اكتمل وعيه ونموه وترجم هذا
السوى وهذا النمو بثورة ١٩١٩، وفي خلال الثورة كان سعد
زغلول يمثل روح الشعب الصلبة القوية المصممة على السير في

الطريق الذي بدأه حتى النهاية، وراح سيد درويش يلحن صيحات
الشعب السياسية والاجتماعية، وراح رفعت يلحن حياة الشعب
الروحية .

ليست هذه مبالغة، فسيد درويش ورفعت كانا زعيمين من طراز
«سعد»، وكما التقت طبقات الأمة وطوائفها حول سعد، وكما طربت
اسيد درويش، تراها - وهنا العجب - تلتف حول رفعت بطوائفها،
فلم يحدث قط قبل رفعت أن استمع أقباط مصر إلى قارئ، بل إن
استماعهم إليه كان بشغف وبحب وبإعجاب شديد .

بل إن عظمة رفعت امتدت إلى خارج هذه الحدود، فقصه الضابط
الكندى الذي انتهز فرصة وجوده في مصر خلال الحرب العالمية
الثانية، وطلب من مدير الاذاعة أن يسهل له مقابلة رفعت، وعندما
التقى به بكى الضابط الكندى وقال : لم أكن أعلم أنه أعمى، والآن
عرفت سر الألم العظيم الذي يفيض به صوته العبقري .

وحكايات أخرى كالأساطير شاعت عن الشيخ وذاعت .. وقصة
الثورة التي أعلنها المستمعون عندما نشب خلاف بين رفعت
ومحطة الاذاعة، حتى إن بعضهم هدد بعدم الاستماع إلى الراديو
بالمرة، وهدد البعض الآخر بعدم دفع الضريبة إذا لم تخضع
الاذاعة لرغبات رفعت العظيم، وقصة أبخل وأغنى رجل في العالم
عثمان حيدر آباد الذى طلب من العبقري الشيخ أن يحضر إلى الهند
مع « حاشيته » وبأجر مائة جنيه في اليوم الواحد مع التكفل
بنفقات الرحلة والاقامة من جيب الثرى البخيل، وتقول الحكاية أو
الأسطورة : إن رفعت رفض عرض الرجل وفضل إحياء ليالى
الفقراء بالجان .

والعبد لله شخصياً لا يعرف إذا كانت هذه القصص حقيقية أم
من نسج الخيال. ولكنها على أية حال ترينا كيف أصبح رفعت

بطلا شعبيا مثل عنترة وأبو زيد الهلالي ينسج الناس حوله قصصا خرافية، ولكنها في الوقت نفسه تترجم مشاعر الناس البسطاء نحو الرجل العظيم، وعندما كان رفعت حيا يقرأ في جامع فاضل باشا لم يكن أحد من المستمعين يتصايح أو يرفع عقيرته بعبارات الطرب والانسجام. كما يفعل المستمعون اليوم مع المشاهير من القراء .. كان فن رفعت الأصيل يجبرهم على الصمت ويقيدهم في أماكنهم، يحتملون أحيانا فوق طاقاتهم من ضيق المكان، ومن حرارة الجو ليستمتعوا بالصوت العبقري العظيم .

هذه الحقيقة البسيطة تكفى وحدها - دون حاجة للأساطير للدلالة على عبقرية صوته الغريب .

وحقيقة أخرى أبلغ دلالة، فالغالبية العظمى من الأشرطة التي تذاع اليوم للشيخ محمد رفعت لم يكن للاذاعة فضل فيها ، بل الفضل كله يرجع إلى عشاق الشيخ الذين لم يكونوا على صلة صداقة أو معرفة بالشيخ. بل دفعهم الحب الصادق والاعتراف بعبقرية صاحب الصوت إلى تسجيل كل سور القرآن دون ماهدف إلا هدف الاحتفاظ بهذا التراث الخالد، العظيم فنرى أحد البشوات هو زكريا مهران يحتفظ بتسجيلات الشيخ دون أن يكون قد رأى الشيخ مرة في حياته .

وهناك تاجر وطني كبير، وموظف سابق، وعمدة من عمد الأرياف يحتفظون بنفس الشيء لأنهم أتركوا بفطرتهم الفنية السليمة أن هذا الشيء يجب الاحتفاظ به .. لأنه ثمين .

دليل الحكايات الخيالية والحكايات التي حدثت فعلا دليل خطير خلاصته أن هذا الشعب الذي ظلمناه طويلا ولا يزال بعض أدبائنا الكبار وفنانينا الكبار - الكبار سنا - يتهمونهم بفساد الذوق وعدم التقدير وعدم الإحساس الفني. شعب أصيل. أصيل في وعيه،

أسيل في تذوقه، وتقديره للفن.. على شرط أن يكون فنا حقيقيا يستحق التقدير .

وقد يقول قائل: ربما كان التقدير الذي حظى به رفعت راجعا إلى حب الناس وتقديرهم للدين، وهو قول غير صحيح .. فقد كان مع رفعت مجموعة من القراء لا يمكن حصرها .. ولا تجاهلها، وكان من بينهم عباقرة لمعوا فجأة ثم طواهم النسيان، ولم يبق من بين الجموع الحاشدة إلا رفعت وحده خير شاهد على أن الفن الأصيل يبقى .. وما عداه يزول !

وحتى بعد موت رفعت، وبعد أن ضاع أخلد أعماله .. وهو دسوته، وبقيت عدة أشرطة قديمة سيئة التسجيل، بعضها يسيء إلى رفعت أكثر مما يحسن إليه، رغم هذا كله. فقد أثبت الشعب أنه في وفاء منقطع النظير .

مثلا .. وهذه حقيقة وليست خرافة. أقسم أحد كبار الجزائريين أن سدد العبقري لن يدفن إلا في المقبرة التي أعدها له. وكان قد أعد في سميت وبلا ضجيج مقبرة عظيمة تليق بعظمة الراحل الكريم، وأصر الجزائر الطيب على أن يحمل نعش الشيخ بنفسه إلى مثواه الأخير .

ووفد على ماتم الشيخ آلاف من مختلف أنحاء البلاد لم تكن لهم صلات بالشيخ إلا صلة التقدير والاعجاب .

ولكن مفتى سوريا عندما سمع الخبر قال ولحيته مبللة بالدموع: رحم الله شبابه فقد جدد شباب الإسلام، ولا يزال مجهولون كثيرون يزورون قبر الشيخ في صمت ليقرأوا الفتاحة على روح الفقيد. وإلى عهد قريب كانت في العاصمة وأنحاء أخرى متفرقة من البلاد مقاه تخصص لمستمعي رفعت قاعات بداخلها ليستمتعوا بما تبقى من فن الشيخ في هدوء .

أمان السماء



مدرسة
الشيخ على

وقد حدث أن قطعت محطة الاذاعة إرسالها أكثر من مرة لتذيع على الناس بشرى العثور على شريط جديد للشيخ. ويذاع الشريط. ويكون حديث الناس في كل مكان. وسيظل رفعت حديث الأجيال كفنان عملاق إلى زمن بعيد .

وسيأتي يوم تصبح فيه للفنون الرفيعة الخالدة جامعة، ويكون صوت محمد رفعت على رأس هذه الفنون، والسبب - كما أوضحنا من قبل - هو أن كل فن خالد جميل يجب أن يستمد وجوده من حياة الناس من فنون الشعب .

ولقد كتبت مرة سابقة عن رفعت، فقلت: إن سبب خلوده يرجع إلى أن صوته كان من السماء، والآن اعترف بخطئي وأعود فأقول : إن سر خلود الشيخ يرجع لسبب واحد . أن صوته العبقري نبع من آمال الناس والأهم من أسواقهم وحواريهم . ومن أفراحهم الساذجة، وأحزانهم العنيفة، بعبارة أبسط .. لقد كان صوته من جذور الأرض، كان صوته هو صوت الشعب !

.. كان لسعد زغلول قارئ خاص هو الشيخ محمود البربري، وكان سعد زغلول لا يرتاح لسماع أحد .. سواه، وكان الشيخ البربري يلقب نفسه «بمقريء سعد»، ولعله كان القارئ الوحيد الذي لم يكن يلحن في تلاوته، كان يقرأ القرآن وكأنه يتحدث، وكان يصف تلاوته بأنها القراءة الشرعية الصحيحة .

وكان مغرماً بالإعادة .. ولذلك كان يظل أحياناً ساعة شاملة لا يقرأ سوى آيات قليلة. في عام ١٩١٩ .. اشترك قراء القرآن في المعركة .

كان الشيخ منصور بدّار يتلو القرآن كل مساء في الجامع الأزهر .. والشيخ محمود البربري يقضى أياماً بائسة في السجن، فقد اعتقله الانجليز بتهمة أنه صديق لسعد زغلول، وأنه كان يؤدي له خدمات وطنية، وكان الانجليز على حق، فقد كان الشيخ البربري يخفي كل مساء وهو خارج من بيت الأمة آلاف المنشورات تحت رداءه الديني الفضفاض، وذات مساء اكتشف الانجليز السر عندما كان الشيخ

البربرى.. يجتاز بوابة «بيت الأمة»، وقد نسى إحكام إغلاق جيبته وانهاالت من داخلها مئات المنشورات على الأرض.

وفي السجن كان الشيخ البربرى يجمع حوله كل المسجونين بتهمة الوطنية.. ويظل الساعات الطوال يقرأ لهم بصوته الشجى حتى أقلق ذلك خاطر الإنجليز فحبسوه في زنزانة منفردة.. ولكن هذا لم يمنع الشيخ البربرى من مواصلة القراءة وهو داخل الزنزانة، وبصوت أعلى ليتمكن كل من في السجن من سماعه، وظل الشيخ البربرى يقرأ في ذكرى سعد كل عام حتى مات، وربح في حياته كثيرا ولم يترك خلفه شيئا، وعندما نفى سعد إلى مالطة، قدم الرجل نفسه لسلطات الاحتلال طالبا نفيه مع الزعيم ليقرأ له القرآن هناك، ورفضت سلطات الاحتلال عرض الشيخ البربرى، ولم يكتف بهذا، بل راحت تطارده في رزقه، وكان المأثم الذى يسهر فيه تحيطه دائما مجموعة من جواسيس الإنجليز، واستغل الوطنيون الفرصة فكانوا يستدعون الشيخ البربرى — عدو الإنجليز — دائما في مأثمهم، بل كانوا يقيمون أحيانا مأثم وهمية ليسهر فيها الشيخ نكابة في الإنجليز..

ومات الشيخ البربرى بعد أن عمر طويلا.. وكان على رأس المشيعين لجنازته مكرم عبيد.. فقد كان تلميذا له في أيام مضت.. أيام الثورة.. وقليلون يعرفون أن مكرم عبيد كان يقرأ القرآن وبطريقة الشيخ محمود البربرى، ولم يكن للشيخ تلاميذ سوى رجلين، أحدهما «مكرم عبيد، والثاني كان يقرأ القرآن في جامع الخازندار، وبنفس طريقة الشيخ البربرى.. واسمه الشيخ سعيد نور.



قصة كفاح الفتى الريفى الصغير الذى هاجر من قرية «...» شاع بالمنوفية إلى القاهرة عام ١٩١٥، ليقرأ القرآن فيها به... ٥٥

سيل، قصة حافلة تستحق التسجيل، ومنذ ذلك العام، عام ١٩١٥، والشيخ الشعشاعى يقرأ باستمرار، وهو يصعد السلم درجة درجة.. حتى بلغ في النهاية آخر درجات السلم وحوله هالة ضخمة من المجد، في يمينه طائفة عبارة عن مجموعة من الأسطوانات بصوته القوى، ومجموعة أخرى من الأسطوانات بأصوات العباقره الذين عاصروه.

بدأ الشيخ الشعشاعى مع أحمد ندا وعلى محمود ومحمد رفعت ومحمد الصيفى، وبدأ مثلهم بأجر خمسين قرشا في الليلة الواحدة، وشهد خلال تاريخه الطويل أياما حافلة، قرأ في مأثم ثروت وعدلى وسعد زغلول ومحمد محمود وأحمد ماهر والنقراشى، واشترك مع ثلاثة غيره في إحياء ليالى مأثم الملك فؤاد، وطار من مصر إلى العراق ابقرأ في مأثم الملكة الأم، وبدعوة من الحكومة العراقية.

واشترك مع الشيخ محمد رفعت في آخر ليلة للشيخ رفعت قبل أن يدهمه المرض الخطير الذى قضى عليه، وأتيحت له فرصة لم تتح لغيره من القراء، فقد أدى فريضة الحج، وقرأ القرآن بعد صلاة المغرب في الحرم النبوى، وكان المسجد النبوى يضيق بمئات الألوف من المصلين من كافة أنحاء العالم الإسلامى.

وقد أذاع الشيخ من جميع محطات الإذاعة العربية في العالم، وهو يقرأ سورة الكهف أسبوعيا — كل يوم جمعة — في مسجد السيدة زينب، وهناك كثيرون من القراء الجدد الذين يتعصبون للشيخ ويفضلون صوته على جميع الأصوات، وكان الشيخ الشعشاعى يتساوى في المرتبة والأجر مع الشيخ رفعت، والشيخ على محمود، وكان أجورهم ٢٥ جنيها في الساعة، و١٠٠ جنيها في الليلة، ومع ذلك ابتعد الشيخ الشعشاعى عن محطة الإذاعة المصرية فترة، لأن أحد موظفيها وجه إليه عبارة اعتبرها الشيخ إهانة له، والشيخ الشعشاعى

عاش طويلا، وعلى الرغم من ذلك ظل محتفظا بصوته العميق القوى حتى مات، وكان باستطاعته - وبدون مكبر صوت - أن يقرأ في عدة ألوف من الناس ولساعات طويلة دون أن يحس إرهاقا.

وللشيخ الشعشاعي لون خاص في التلاوة فهو لم يقلد أحدا من القراء الذين سبقوه، كما أنه لم يظهر حتى الآن من حاول تقليد صوت الشيخ، والسبب، هو أن الطريقة التي يقرأ بها الشيخ تحتاج إلى صوت قوى فتي.

وما أندر الأصوات القوية في دولة القراء، ولقد سار ابنه الشيخ إبراهيم على طريق والده، وقرأ بأسلوبه عندما حل محله في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة في مسجد السيدة زينب، ولكن الابن رغم تفوقه واجتهاده لم يصل إلى الذروة التي وصل إليها والده العظيم.

ولقد حاول البعض التفريق بين الشيخ رفعت والشيخ الشعشاعي، ولكن المحاولات كلها فشلت، وعندما سألته بعد موت رفعت عن رايه في صوت الشيخ، كان جوابه. صوت رفعت نادر وثلبا في خدمة القرآن.. وكان بسيطا في معيشته، متواضعا في سلوكه. وثابت أمنيته أن يقرأ مرة أخرى في الحرم النبوي، وحوله مئات الآلاف من أبناء العالم الإسلامي.



واحد فقط في مصر يستطيع أن يزعم بحق أنه تلميذ الشيخ، أي محمود، فقد عاصره مدة طويلة من الزمان كأحد أفراد بدو الشيخ، والرجل هو الشيخ طه الفشنى.

اتصل الشيخ طه الفشنى بالشيخ على محمود، والآن في مصر، مجده، وكان الشيخ طه شابا صغيرا يقرأ القرآن أحيانا، ويحفظ التواشيح أحيانا أخرى، ثم لم يلبث أن بهره صوت الشيخ، فمحمود وطريقته الفذة في الأداء، وما يتمتع به من صوت عذب، يهز وجدان الناس.

وطاف الشيخ طه مع الشيخ على مناطق مصر كلها، وسهر معه الليالى الطوال، وعاش معه حياته المجيدة الحافلة، وفي ليلة من ليالى عام ١٩٣٩، قدم الشيخ على تلميذه الأول للجمهور فحل محله في ليلة خالدة في حياة الشيخ طه، واستقبله الناس بالتقدير.. فقد كان الشيخ طه أقدر الناس على استيعاب طريقة أستاذه، ومن ثم أقدرهم أيضا على أن يسد الفراغ الكبير الذى سيخلفه الشيخ على محمود.

وفي عام ١٩٤٢، أصبح للشيخ طه فرقة يرأسها، ولمع نجمه سريعا فاذاع من محطة القاهرة، ومن محطات الإذاعات الخارجية، ولم يكتف بالتواشيح.. بل ظل يقرأ القرآن شأنه في ذلك شأن الشيخ على، وارتفع أجره بعد ذلك إلى عشرة جنيهات في الإذاعة، وثلاثين جنيها في الليلة الواحدة، وعندما مات الشيخ على - قفز أجره إلى مائة جنيه في الليلة، إذ لم يعد أحد هناك سواه.

والشيخ طه الفشنى كان في الثانية والأربعين من عمره يعيش في بيته بمصر الجديدة، وله بيت آخر هجره منذ عدة أعوام في الحارة التي كان يسكن فيها الشيخ على محمود، والشيخ محمد سلامة. وأعظم الأصوات بالنسبة إليه هو صوت المرحوم الصيفى، والشيخ محمد رفعت، ويصفه بأنه فلتة لن يوجد بمثلها الزمان.

وهو من عشاق صوت الشيخ مصطفى إسماعيل.. ومن أشد الناس إعجابا بطريقة الشيخ الصيفى في الأداء.. حدث مرة أن كان الشيخ طه ينشد التواشيح في ليلة مولد بديروط.. وعندما جاء عند مقطع «استقر به المقام»، أقسم أحد العمدة الجالسين بالطلاق أن يظل الشيخ يردد هذا المقطع حتى الصباح.

وظل الشيخ الفشنى يردد المقطع حتى بزغ نور الفجر، ثم غادر الصوان على عجل واستقل أول قطار إلى القاهرة، ولكن والحق يقال، كان الشيخ الفشنى هو عمدة فن التواشيح والإنشاد الدينى بعد

الشيخ على محمود، ولكن حظه في التلاوة كان متوسطا، وعندما بدأ
قلى طريقة الشيخ مصطفى إسماعيل، ولكنه عدل عنها بعد ذلك
وأصبح له طابعه الخاص، وبعد موت الشيخ طه الفشنى بسنوات
طويلة، منحه الرئيس حسنى مبارك وساما تقديرا لدوره المجيد فى
خدمة القرآن الكريم.

والغريب أنه فى حياة الشيخ طه الفشنى.. لمع فى مجال الإنشاد
الدينى بعض المشايخ الذين أنعشوا هذا الفن وأثروه، منهم الشيخ
عبدالسميع بيومى، والشيخ محمد الفيومى، أحد أفراد بطانة الشيخ
على محمود، والشيخ محمد الطوخى، وهو علم من أعلام هذا الفن،
على الرغم من أنه يعيش بنصف كلى، ثم جاء الشيخ النقشبندى -
يرحمه الله - وقد بهر الناس بأدائه الرائع وبصوته الواضح القادر
على الأداء فى كل المقامات، ثم جاء نصر الدين طوبار..

وقد تأثر نصر الدين بطريقة دراويش الطرق الصوفية، وكان
الفضل فى ظهوره وانتشاره للفنان زكريا الحجاوى، لم يبق من
الرائحة الحلوة القديمة إلا الشيخ محمد عمران، وبوفاته نستطيع أن
نقول إن دولة الإنشاد الدينى والتواشيح صارت إلى زوال!

وأغرب شىء أن موت الشيخ محمد عمران آخر العنقود فى مدرسة
الشيخ على لم تشر إليه أية جريدة أو مجلة، ولم يذع خبر وفاته فى أية
إذاعة، حتى صديقه الحميم جلال معوض سمع الخبر من العبد لله بعد
شهر من وفاته، والعبد لله عرف الخبر بالصدفة من قارئ صديق بعد
ثلاثة أسابيع من رحيله، وهو دليل أكيد على أن العملة الرديئة تطرد
العملة الصحيحة من السوق، وعلى أن الزمن الحاضر فقد موازينه..

والآن أصبح أى شىء مثل كل شىء، وحل مخابر التلفزيون الذى
يطلقون عليه (مسجد التلفزيون)، من باب الدلع، محل جامع
السلطان حسن، والأزهر الشريف، وجامع السلطان أبوالعلا. وجامع

السيدة زينب، وجامع الرفاعى، وجامع شيخ العرب أحمد البدوى،
وجامع المرسى أبو العباس.

والآن.. لا أحد يدرى إلى أين نسير؟! بعد أن أصبحت التلاوة
بالواسطة، والإنشاد الدينى بالطواني، وانعدمت الفروق بين
المشايخ الذين يسرحون على المقابر، والمشايخ الذين يسرحون فى
أروقة التلفزيون، و.. ليس لها من دون الله كاشفة، والأمر لله من قبل
ومن بعد؟!!!

أحمان السماء



الضيفي ..
أبو
القرّاء !

ثلاثة فقط من القراء ظهروا مع بداية العصر
الذهبي لدولة التلاوة.. المشايخ: محمد سلامة،
ومحمد الصيفي، وعبدالفتاح الشعشاعي، وكان
الشيخ الصيفي أولهم، إذ ذاع صيته بعد الشيخ
أحمد ندا والشيخ علي محمود، وفي نفس الوقت
الذي ذاع فيه اسم الشيخ محمد رفعت، وقد نشأ
الشيخ الصيفي في حارة واحدة مع الشيخ ندا،
والشيخ سلامة، والشيخ علي محمود.. وسكن
الحارة قارئ آخر هو الشيخ طه الفشنى.. وعندما
لمع اسم الشيخ الصيفي، كان الشيخ ندا يتقاضى
جنيها كاملا في كل ليلة، كان ذلك عام ١٩١٥،
والحرب العظمى ناشبة، وموجة الإفلاس تدمر
بيوت تجار القطن وملاك الأرض.

وكان الشيخ محمد رفعت يتقاضى في ذلك الوقت خمسين
قرشا عن كل ليلة، وكذلك الشيخ الصيفي، وعندما ارتفع أجر
الشيخ ندا، ارتفع أجر كل القراء.. وأصبح الشيخ الصيفي يتقاضى
عشرة جنيهات عن كل ليلة في عام ١٩٢٧، وكان واحدا من أربعة
قراء أحيوا ليالي ماتم الزعيم سعد زغلول، والملك فؤاد.

وكان هو القارئ الوحيد الذى رفض أن يقرأ فى قصر فاروق فى أشهر رمضان الخالية، وذهب إليه ناظر الخاصة الملكية يستفسر منه عن سبب الرفض.

وأجاب الشيخ الصيفى: بأن صحته لا تساعده.

وقال ناظر الخاصة: ولكن مولانا يجب أن يسمعك، فرد عليه الصيفى فى هدوء: ولكنى أقرأ فى الراديو، ويستطيع مولانا أن يسمعنى جيداً، وعندما مات الشيخ على محمود، وكان قارئ المسجد الحسينى، أصبح الشيخ الصيفى قارئاً للمسجد، وكان للشيخ الصيفى رأى فى القراء، ولكنه كان يحتفظ به لنفسه، ولا يعلنه على الناس.

قال لى ذات مرة: إن أعظم الأصوات التى سمعها فى حياته هو صوت الشيخ محمد القهاوى، والشيخ منصور بدار، ويأتى بعدهما الشيخ مصطفى اسماعيل، سألته: ومحمد رفعت؟! فقال على الفور: صوت محمد رفعت لم يكن كبقية الأصوات تجرى عليه أحكام الناس، لقد كان هبة السماء.. والشيخ الصيفى كان صديقاً للمرحوم الشيخ محمد رفعت حتى مات، وكان هو الوحيد من بين القراء الذى لازمه أربعة أيام كامل قبل أن يموت.

وربح الشيخ الصيفى كثيراً وأنفق كل ما ربحه على أبنائه، وعلى أصدقائه، وله ابن عمل مخرجاً فى السينما هو الاستاذ حسن الصيفى، وعاش ومات فى نفس الحارة التى نشأ فيها مع الشيخ نداء، والشيخ على محمود، والشيخ محمد سلامة، وفى حجرة الاستقبال فى منزلة صور كل هؤلاء الأعلام.

ومعها أيضاً صورة المرحوم الشيخ سيد درويش، وقال لى الشيخ الصيفى وهو يتأمل فى الصورة جيداً: هذا الرجل - يقصد سيد درويش - أحدث انقلاباً فى فن الموسيقى.. وهذا الرجل -

يقصد الشيخ على محمود - أحدث انقلاباً آخر فى فن الموشحات، وقد مات الشيخ الصيفى فى السبعين من عمره .. وقبل ذلك اعتزل إحياء الليالى، واكتفى بقراءة سورة الكهف فى مسجد الامام الحسين، ولقبه فى دولة التلاوة أبو القراء!

الشيخ القهاوى

سألت الشيخ رفعت مرة قبل وفاته: أى واحد من القراء تحب سماعه أنت يا شيخ القراء؟ وابتسم الشيخ رفعت - رحمه الله - وأجاب ونفس الابتسامة على شفتيه: لا داعى لهذا الاحراج، إنهم جميعاً مجيدون.

قلت: إذن أيهم أفضل من بين الذين انتقلوا إلى رحمة الله؟ وهنا اعتدل الشيخ محمد رفعت وراح يهز رأسه يميناً ويساراً، وكأنما قد هز السؤال حينئذ إلى تلك الأيام البعيدة الجميلة.. أيام زمان. قال الشيخ رفعت: كلهم كانوا مقتدرين على الأداء، ولكل منهم لون، فلا تستطيع أن تفضل واحداً على الآخر، ولكن كان أجملهم صوتاً الشيخ محمد القهاوى، وكان صوته من أجمل الأصوات وأرقها وأعذبها وأشدّها حنيناً وحناناً وضراعة.

كانت المرة الأولى التى اسمع فيها اسم الشيخ القهاوى، فليست له شهرة الشيخ أحمد نداء، أو الشيخ على محمود، وكانت شهادة الشيخ رفعت وحدها كافية لمعرفة مدى ما كان يتمتع به من جمال الصوت، ولقد ظهر القهاوى فى نفس الفترة التى ظهر فيها الشيخ نداء، والشيخ رفعت، والشيخ على محمود، وغيرهم من الفرسان، ولكن الليالى الطويلة التى سهرها قضت عليه قبل فوات الأوان.

لقد كان رحمه الله - فناناً، وكان يعشق الليل، ولم يره أحد فى الشارع قبل الغروب، وربح كثيراً وأنفق ما ربحه فى مجالس الاصدقاء.. وكان من اصدقاء الشاعر حافظ إبراهيم، والشيخ

البشرى، والدكتور محبوب ثابت، وكان القراء يرفضون الاشتراك معه في ليلة واحدة، فقد كان الجمهور يرفض أن يستمتع لأحد بعد الشيخ القهاوى، حدث مرة في حى السلخانة ان قامت معركة في ماتم كان يقرأ فيه الشيخ القهاوى، مات فيها أربعة، ونقلت عربات الاسعاف أكثر من عشرة إلى المستشفيات، وكان السبب هو الشيخ القهاوى، وسجل محضر البوليس أن المعركة نشبت لأن أحد الفريقين المتنازعين قال كلاماً اعتبره الفريق الآخر ذماً في الشيخ. ومات الرجل وهو في قمة مجده، وكان وقتئذ في التاسعة والأربعين، ولم يترك خلفه اسطوانة واحدة تسجل صوته، وكان أدائه غريباً كصوته، يبدأ بطبقة عالية، وبإلقاء سريع، ثم ينتهى إلى عذوبة وطبقة خافتة مع مد طويل عند خاتمة الآية، ومن الذين قلدوا طريقته الشيخ محمود على البنا، مع أن الشيخ البنا لم تتح له فرصة الاستماع إلى صوت الشيخ القهاوى. وقال لى الشيخ الصيفى، وهو يتحدث عن الشيخ القهاوى.. رحمه الله: إن كل الاصوات التى سمعتها والتى ستسمعها من خشب، وصوته وحده كان من الذهب، ولكن صاحبه انصهر في بوتقة الليالى.. ومات قبل الأوان!

صوت من الغابة

كان في جامع الخازندار رجل اسمر اللون يقرأ القرآن بطريقة غريبة كلها شجن تستدر الدموع من العيون التى لم تعرف طعم الدموع قط، هذا الرجل اسمه الشيخ سعيد نور. وبالرغم من أن الرجل لم يقرأ في الاذاعة الا مرة واحدة، إلا أنه يتمتع بشهرة تفوق شهرة بعض قراء الاذاعة، وسر شهرة الشيخ سعيد أنه يقرأ القرآن بطريقة تختلف عن الطريقة المعروفة.. طريقة القراءات.

وبهذه الطريقة نفسها كان يقرأ قارئ آخر من قبل هو الشيخ محمود البربرى، وتسرى بين العامة شائعة ان هذه الطريقة هى وحدها الطريقة الشرعية التى يرضاها المحافظون، المهم أن الطريقة التى يقرأ بها الشيخ سعيد نور طريقة عجيبة تثير في نفوس الناس عواطف شتى.. من الطرب والخشوع والإيمان، وأيضاً تستدر من عيونهم الدموع الحزينة، والسبب الذى من أجله لم يقرأ الشيخ سعيد في الاذاعة، أن صوته - رغم جماله - يكاد لا يصلح للميكروفون، وهناك أصوات غاية في الرقة والجمال، ولكنها أمام الميكروفون تختلف عن طبيعتها.

ويبدو أنه من بين هذه الأصوات صوت الشيخ سعيد نور، والمحطة الوحيدة التى تذيع له هى محطة المملكة العربية السعودية، وشهر رمضان هو أنسب الشهور لسماعها جيداً قبل السحور بالنسبة لسكان مصر، ولم يعرف عن الشيخ سعيد أنه ابداً حدد أجرا له، وهو يتناول الأجر الذى يدفعه صاحب الليلة دون نقاش، وتتصب لصوت الشيخ محافظات بأكملها، وعلى رأسها جميعاً محافظة المنوفية، ولعل السبب يرجع إلى أن أغلب سكان حى شبرا - حى الشيخ سعيد - من قرى المنوفية، وقد قرأ الشيخ مع المشايخ الكبار قبل الحرب الأخيرة، قرأ مع الشيخ على محمود، والشيخ محمد رفعت، وبدأ هو الآخر مثلهم بخمسين قرشاً في الليلة، ويستمتع الشيخ سعيد لصوت الشيخ رفعت، ويفضله على كل الاصوات.

ويعتبر الشيخ الشعشاعى هو أعظم القراء بعد رفعت، وكذلك مصطفى إسماعيل، وأبو العينين شعيشع، وقد كان الرجل الأسمر يعيش عيشة بسيطة في شبرا، أما هوايته الوحيدة فكانت سماع الاسطوانات القليلة الباقية للشيخ محمود البربرى!

الحان السماء



التلاوة على الركبتين

ولكن يبدو أن الشيخ سعيد لم يقتنع بأن صوته لا يصلح للإذاعة، ولذلك هاجر من مصر واستقر في الكويت في فترة الستينيات، وسجلت إذاعة الكويت القرآن الكريم بصوت الشيخ سعيد، وتذيع له مرة كل اسبوع في فترة الفجر، وقضى الشيخ سعيد بقية حياته في الكويت حتى اختاره الله إلى جواره، ولكنه ترك ثروة روحية غالية بتسجيلاته للقرآن الكريم، ولكن لسوء الحظ.. كانت اشراطه ضمن الاشرطة التي اخفتت من أرشيف الاذاعة خلال فترة احتلال الاشواوس.. وحكومة الكويت تتهم جيش الاشواوس، وحكومة الاشواوس تنفي اتهامات الكويت، وأين ذهب الاشرطة؟! العلم عند علام الغيوب!

اسمه الشيخ محمد سلامة، ومات وهو فوق الثمانين بسنوات، عاصر الفترة الذهبية لعصر التلاوة أيام الشيخ على محمود وغيره، ونال من الشهرة والمجد ما لم ينله قارئ من قبل حتى ولا الشيخ أحمد ندا ، وذاع صيته عن غير طريق الانداعة، فقد ظل أعواماً طويلة يؤمن بأن إذاعة القرآن حرام، ولذلك حرم من الثراء الذى ناله أمثاله، ولكنه عاد فى عام ١٩٤٨، وأذاع من محطة القاهرة ، غير أن الزمن الطويل الذى عاشه كان قد أثر فى صحته وفى صوته، فاضطر إلى القراءة أمام الميكروفون عدة سنوات.

وقد بدأ الشيخ سلامة يقرأ فى عام ١٩١٠، وكان يسكن مع المشايخ أحمد ندا والصيفى، وعلى محمود فى حارة واحدة فى حى العباسية، وكان الشيخ أحمد ندا أسبقهم فى الظهور، ثم تبعه الشيخ سلامة على الفور ولمع نجمه قبل أن يظهر الشيخ الشعشاعى بسنوات، وسافر إلى فلسطين بعد الحرب العظمى الأولى، وقضى فيها أعواماً ثم عاد إلى مصر من جديد.. وحاولت إذاعة فلسطين تسجيل عدة أشرطة له، ولكن محاولاتها ذهبت عبثاً، فقد كان الشيخ يعتقد - كما قلت - ان إذاعة القرآن حرام، ويعتبر

الشيخ سلامة صاحب مدرسة مستقلة في الأداء، كما أنه كان يتمتع بصوت مميز ليس له نظير بين أصوات القراء. وظل يعيش في نفس الحارة التي نشأ فيها مع الشيخ ندا وعلى محمود والصيفي، الحارة الضيقة المسدودة بالعباسية والتي هجرها الجميع ماعدا الشيخ الصيفي والشيخ سلامة.

ولعل الشيخ سلامة هو القارئ الوحيد الذي كان يقرأ جالسا على ركبتيه كأنه في حالة ركوع أثناء الصلاة، وكان إذا انتقل من طبقة القرار إلى طبقة الجواب هب واقفاً على ركبته في حركة متوافقة مع الطبقة التي ارتفع إليها.

وكان الشيخ سلامة لا يخفى استنكاره للطريقة التي يقرأ بها الشيخ مصطفى إسماعيل. وكان يؤمن بأن قراءة القرآن تحتاج إلى صوت قوى ووقور، أما الصوت «الخلو» فليس مستحباً في التلاوة! وكان هذا هو رأيه أيضاً في صوت الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، أما الصوت المفضل لديه فكان صوت الشيخ الصيفي، وكان من رأيه أن صوت الشيخ زاهر «مش بطل!»

وأخر مرة استمعت فيها إلى الشيخ سلامة كانت في مائم والدة الحاج سيد مخيمر بالجيزة، وحدث أثناء التلاوة أن انصرف بعض الجالسين، وهنا قطع الشيخ تلاوته، وأعطى الحاضرين في السرايق درساً في آداب الاستماع إلى القرآن الكريم، وعندما مات الشيخ محمد سلامة، كان في حكم المجهول بالنسبة للأجيال الجديدة، وهي الأجيال التي كان يطلق عليها الشيخ لقب: أجيال عبدالحليم حافظ!

استطاع رجل واحد في دولة القراء أن يظل في منطقته لا يرحها، ومع ذلك فقد وصل إلى الشهرة وإلى المجد واستطاع أن يفرض اسمه على كل لسان.. ذلك هو الشيخ منصور الشامي الدمنهوري،

وفي دولة القراء رجلان لم يرحا منطقتهما أيضاً، هما الشيخ صديق المنشاوي والشيخ محمد مجد، ولكنهما لم يبلغا مكانة الشيخ منصور الشامي من حيث الشهرة والثراء.

نشأ الشيخ منصور وعاش في دمنهور وذاع صيته من المدينة الصغيرة وما حولها، ولم يلبث أن غادرها وهو في العشرين من عمره إلى الاسكندرية مسقط رأس سيد درويش..

ذاع صيت الشيخ وأصبح علماً على دولة القراء هناك، واتصل في شبابه بالمشايخ محمد رفعت، وعلى محمود ومنصور بدار.. وأعجب الشيخ محمد رفعت بصوته وشهد له بالتفوق والنبوغ، وقرأ معه في ليلة واحدة في احتفال كبير بالاسكندرية، ومنذ تلك الليلة ومنصور الشامي الدمنهوري يجري على طريق الشهرة وهو يلهث من الاعياء، فقد كان يكفى أن يقرأ الشيخ رفعت مع قارئ صغير حتى يصبح اسم الأخير على كل لسان.

وفي عام ١٩٤١ عين الشيخ منصور قارئاً لمسجد سيدى أبى العباس المرسى بالاسكندرية.. وكانت الصحراء المحيطة بالمدينة تشهد لونا من الصراع الرهيب بين جيوش هتلر الزاحفة والجيش البريطاني الذي انطلق في الصحراء العريضة نحو الاسكندرية. ومرت لحظات حرجية وخطيرة على المدينة والجنود الألمان على بعد خمسة عشر ميلاً منها.. ومدافعهم الثقيلة البعيدة المدى تضرب أطراف المدينة ليل نهار.. وغادر الانجليز المدينة، ومن ورائهم سكانها جميعاً، ولكن الشيخ منصور رفض أن يغادرها وأصر على البقاء بجوار سيدى المرسى ليقرا داخله القرآن. وانهمز رومل وانتحر هتلر. وبقي الشيخ منصور يقرأ في مسجد سيدى أبى العباس.

وفي عام ١٩٤٥ قرأ الشيخ منصور لأول مرة في الاناعة وبأجر خمسة جنيهات، ثم لم يلبث أن ارتفع أجره إلى عشرة ثم خمسة

عشر جنيهاً عن كل إذاعة، وكان يذيع في نفس الوقت من محطات لندن وسوريا والشرق الأدنى وباكستان، وقد توفي الشيخ منصور إلى رحمة الله منذ زمن طويل، ولكن صوته القوي وطريقته الفريدة في الأداء لا يزال صداها يرن في أسماع الزمان، ومع انه لم يشتهر كثيراً ولم يحقق من احتراف التلاوة ما حققه غيره من القراء، إلا انه كان على عكس زميله الشيخ سلامة قانعا بما وصل إليه، وكان يردد دائماً مقولة تعبر عن رضائه بما وصل إليه: الصوت هبة من عند الله، والهبّة هي نوع من الرزق، والله سبحانه وتعالى قسم الارزاق بين الناس، وفضل بعضهم على بعض. وكان يقول: إن الشيخ رفعت رزقه كبير، ورزقي متوسط، وهناك آخرون رزقهم قليل، وعلى كل مَرزُوق أن يرضى برزقه!

وكان شديد الإعجاب بصوت الشيخ مصطفى إسماعيل، ويعبر عن إعجابه بقوله: إن الله سبحانه اعطاه حلاوة في الصوت، وابداعاً في الأسلوب، وإنه عطية السماء لدولة التلاوة، ولم يكن له نظير في الماضي ولن يكون له مثل في المستقبل! ولعل الشيخ منصور الشامي الدمنهوري من القراء القلائل الذي كان يحرص الاقباط على سماعه، فقد كانت طريقته في الأداء تقترب من أداء ترتيل المنشدين في الكنائس، رحم الله الشيخ منصور الشامي الدمنهوري، إحدى القمم الشامخة في دولة التلاوة!



في ماتم المغفور له محمود فهمي النقراشي، جلس كبار رجال الدولة وقتئذ يستمعون في خشوع إلى آيات الذكر الحكيم، يرتلها رجل في الخامسة والأربعين من عمره ترتيلاً حسناً، وفي صوته نبرة غريبة تحرك الشعور وتهز الوجدان.. وسأل رئيس الحكومة وقتئذ عن اسم هذا القارئ، فقالوا له: انه عبدالرحمن الدروي، وقال رئيس الوزراء إبراهيم عبدالهادي: ولماذا لا يقرأ في الاذاعة؟

ومن ذلك الحين ظل الشيخ عبدالرحمن يقرأ في إذاعة القاهرة، وبدأ بأجر خمسة جنيهاً عن كل إذاعة، ثم ارتفع أجره إلى عشرة جنيهاً، ثم خمسة عشر جنيهاً، وقفز أجره في الليلة الواحدة إلى ثلاثين جنيهاً، ثم إلى خمسين جنيهاً، وعاش الشيخ الدروي متنقلاً بين القاهرة وقريته الصغيرة دوره في المنوفية، وقليلون يعلمون ان الشيخ الدروي كان يعمل ماذوناً بقريته، وأن كل الزيجات في منطقته تتم على يديه، لأن الاهالي في تلك المنطقة يتقاعلون بالشيخ الدروي ويعتقدون أن السعادة الزوجية تصاحب زبائنه.

والشيخ الدروي يتمتع بصوت يصفه خبراء الاصوات بأنه متوسط، ولكنه رغم هذا يتمتع «بقرار» سليم ونبرة غريبة تهز النخوس.. ويفضل الشيخ الدروي صوت الشيخ محمد رفعت وصوت الشيخ عبدالفتاح الشعشاعي من القراء الذين سبقوه، ويصف صوت الشيخ الشعشاعي بأنه اعظم الأصوات.

وفي اغلب الليالي كان الشيخ الدروي يسهر في الليالي التي يقيمها أهل منطقته في المنوفية، وهو لا يتقاضى أجراً من أهل القرية على الادلاق، كما انه لا يتقاضى منهم أجراً على قيامه بتحريير عقود الزواج، وهو يقول: ان النبرة الغريبة التي يتميز بها صوته يتميز بها كذلك جميع أهل القرية. وهى نبرة شجية حزينة، ربما علقت بأصوات أهل القرية من الواقع الحزين الذي تعيش فيه القرية الصغيرة الواقعة على شاطئ الرياح المنوفى الحبيب، وإذا كان الشيخ الدروي قد ذاع صيته بعد وصوله إلى ميكروفون الاذاعة، إلا انه كان يرفض إحياء الليالي في المناطق النائية، ولكنه كان حريصاً على تلبية الدعوات التي تصله من أهالي المنوفية والقليوبية والغربية. كما كان حريصاً على الاشتراك في ليالي مولد السيد أحمد البدوي.

أحان السماء



حكاية
الثلاثة
الكبار

وكان يتردد أحياناً على مسجد السيدة نفيسة ليصلي العشاء في ركن منعزل، ولكنه كان يضطر إلى التلاوة إذا تعرف المصلون عليه. وكان يشعر بسعادة لا مثيل لها وهو يقرأ للناس الطيبين الذين يتصادف وجودهم في المسجد ذلك المساء، وعاش الشيخ الدروى حتى مات، وله هواية واحدة هي الاستماع إلى تسجيلات الشيخ على محمود والشيخ محمد رفعت، وحضور الليالى التى يحييها الشيخ عبدالفتاح الشعشاعى. وكان متيماً بصوت الشيخ عبدالعظيم زاهر، ومعجبا بصوت الشيخ محمود عبدالحكم!

فى دولة التلاوة أصوات لم ترتفع إلى القمة التى ارتفع إليها محمد رفعت، وأحمد ندا، ومصطفى إسماعيل، ولكنها استطاعت أن تدخل التاريخ، وأن تنقش اسمها على جدار الزمن، وعلى رأس هؤلاء ثلاثة من أعظم القراء ، كان لكل منهم لون خاص ومزاج مختلف.

الشيخ عبدالعظيم زاهر والشيخ أحمد سليمان السعدنى والشيخ محمد فريد السنديونى، أما الشيخ عبدالعظيم زاهر فقد كان نسيجا وحده، لم يقلد أحدا، ومن الصعب تقليده، وصوته علامة من علامات رمضان كما صوت الشيخ محمد رفعت، وقد حفظ القرآن، ثم انطلق يقرأ فى المآتم وفى الحفلات الدينية، واشتهر بسرعة البرق، وفرض نفسه على دولة التلاوة كواحد من نجومها، ولكن طريقته الخشنة فى التعامل مع الناس والحياة، ربما هى السبب فى تعثره وعدم وصوله إلى القمة، ولكن عدم وصوله إلى القمة لاينفى أنه كان صاحب

صوت من أجمل الأصوات التى سمعناها فى العصر الحديث، وصاحب طريقة فى الأداء ليس لها شبيهه على طول الزمن.

كان صاحب صوت مقتدر على الأداء الممتاز فى جميع المقامات ، وكما كان مقتدرا فى طبقة الجواب وجواب الجواب ، كان مقتدرا أيضا فى طبقة القرار ، وهى ميزة كبرى لم يظفر بها إلا عدد قليل من القراء ، على رأسهم الشيخ محمد رفعت ، وبالرغم من شهرته العريضة وطريقته الفذة ، إلا أن أحدا من القراء الجدد لم يجزئ على تقليده ، رغم أن كثيرين قلّدوا الشيخ محمد رفعت وعلى رأسهم الدكتور هيبه والشيخ أبو العيّن شعيشع ، ولكن عبدالعظيم زاهر لم يقترب من منطقتة أحد حتى هذه اللحظة .

يذكر أن أحد أعيان حى ، المديح « طلبه للقراءة فى إحدى الليالى فطلب ثلاثين جنيها أجرا عن الليلة ، وأمهله مدة ساعتين للحضور إليه ودفع المبلغ مقدما ، وبشرط إحضار سيارة لتوصيله إلى المآتم وإعادته إلى البيت آخر الليل ، وكان مبلغ الثلاثين جنيها فى ذلك الزمان مبلغا جسيما ، حيث كان فدان الأرض فى المنوفية بثلاثين جنيها ، وحاول أصحاب الليلة الاستعانة بقارئ آخر ولكنهم فشلوا ، فاضطروا مكرهين إلى الاستعانة بالشيخ عبدالعظيم زاهر ، ونفذوا جميع شروطه ، منحوه المبلغ مقدما واصطحبوه معهم فى سيارة إلى السراى ، وبعد أن أحيأ الليلة ، وكان صاحب الحفل سميحا كبيرا عاصر مشايخ كباراً مثل الشيخ أحمد ندا والشيخ القهاوى والشيخ الفيشاوى وتقدم الرجل السميع إلى الشيخ زاهر وصافحه بشدة ونقده ثلاثين جنيها أخرى ، وتقدم أحد أبناء الرجل ولفظ نظر أبيه إلى أن الشيخ تقاضى أجره مقدما ، وأجاب الرجل فى هدوء : أعلم ذلك ، ولكن الشيخ زاهر يستحق ضعف

المبلغ الذى اتفق عليه ، إن صوته من نسيمات الجنة .

وقرأ الشيخ زاهر فى سراى عابدين داخل القصر الملكى فى ليالى رمضان المباركة ، وعندما قرأ فى إمارة عجمان أصدرت طابع بريد يحمل صورته ، وظل الشيخ زاهر يقرأ مع الكبار وينافسهم حتى توفاه الله .

ومنذ فترة وبعد وفاته بوقت طويل، منحه الرئيس مبارك وساما فى الاحتفال الرسمى ببلية القدر، رحم الله الشيخ عبدالعظيم زاهر، الذى كان صوته من عجائب دولة التلاوة، ومن أعذب الأصوات التى استمعنا إليها فى الحياة!!

مجرم حرب !!

لُعْها المرة الأولى والأخيرة التى تعرضت فيها تقارير رجال المخابرات البريطانية خلال الحرب لقارئ متهمه إياه بأنه يتعامل مع الأعداء، ففي بداية الحرب الأخيرة قالت مخابرات الحلفاء: إن الشيخ أحمد سليمان السعدنى القارئ المعروف يذيع كل مساء من محطة برلين العربية، وقالت التقارير أيضا: إن إذاعة الأخبار باللغة العربية بعد التلاوة مباشرة، وقالت التقارير أيضا : إن عددا كبيرا من الناس يستمع إلى إذاعة برلين ليتكمن من سماع الشيخ السعدنى، وسمع مصطفى النحاس باشا - وكان رئيسا للوزراء - بالقصة، فأرسل فى استدعاء الشيخ، وعندما دخل عليه مكتبه، رفض النحاس أن يصفحه قائلا له بلهجته المعروفة: لا.. ده مش كلام.. أنت راجل بتتعامل مع المحور.

وشرح الشيخ السعدنى للنحاس كل شىء، واقتنع النحاس ، فمد يده وصافحه وقال له: الآن اطمأن قلبى.

واصل الحكاية أن بعثة من الإذاعة الألمانية وصلت إلى مصر فى عام١٩٣٧، لتسجيل بعض الأغانى والبرامج العربية، لإذاعتها فى

يستمتع إلى الشيخ البربرى وود لو يستطيع أن يضافحه ويقبل يده، ولم تتحقق أمنيته قط، وحتى عندما أصبح الشيخ السعدنى رجلا وجاء إلى القاهرة، كان الشيخ البربرى قد انتقل إلى رحمة الله.

فلسطين .. وداعا !!

ظهر الشيخ فريد السندىونى فجأة ثم اختفى فجأة، وظل عشر سنوات طويلا واسمه يدوى كالبطل في أنحاء البلاد العربية، وكان ظهوره في بداية عام ١٩٣٨، وفي قريته سنديون بالمنوفية، ومن ثم ذاع صيته في أنحاء المنوفية ثم في المديرىات المجاورة، ثم أصبح الشيخ فريد علما في مدينة القاهرة.

وفي عام ١٩٣٩ أذاع الشيخ لأول مرة من إذاعة القاهرة، وفي عام ١٩٤١ كانت الصحراء تشهد حربا عنيفة، وجيوش المحور تسمح رمال الصحراء الغربية بجيوش الحلفاء وأصبح لإذاعة الشرق الأدنى، كان مقرها فلسطين، أهمية بالغة. فاستدعت السلطات الانجليزية الشيخ فريد ليقرأ فيها بصورة دائمة، وسافر الشيخ فريد إلى فلسطين بمرتب مائتى جنيه في الشهر، وفي عام ١٩٤٥ قفز هذا الرقم إلى خمسمائة.

وفي بداية عام ١٩٤٧، وكان قد لاح في الأفق أن الأرض المقدسة ستخضب بالدماء.. استغنت إذاعة الشرق الأدنى عن خدمات الشيخ، فغادرها عائدا إلى القاهرة، وقيل يومئذ أن خلافا قد نشب بين الشيخ وبين مدير الاذاعة الانجليزية حول تصرفات غريبة لم يرض عنها مدير الاذاعة، وراح الشيخ يذيع من محطة القاهرة فترة قصيرة، ثم لم يلبث أن عاد إلى فلسطين مرة أخرى، وكان ذلك في نهاية ١٩٤٧، واتخذ من مدينة يافا مقرا له.

ولكن القاهرة التى علمته وانضجته انكرته عندما عاد، ذهب إلى الاذاعة في عام ١٩٤٩، ليقرأ من راديو القاهرة، ولكن المسئولون رأوا

راديو برلين، وقضت البعثة عاما سجلت فيه كل شىء، ثم رأت أن تسجل شيئا من القرآن، فلم يتسع وقتها لأكثر من عشرة تسجيلات كلها للشيخ السعدنى، ونشبت حرب في عام ١٩٣٩، واستغلت برلين الفرصة فراحت تذيع شرائط الشيخ السعدنى كل مساء من محطاتها العربية. ومن هنا جاء اتهام المخابرات الانجليزية للشيخ السعدنى بأنه من عملاء المحور.

وقد بدأ الشيخ السعدنى تلاوة القرآن الكريم عام ١٩٢٥، وبأجر قدره خمسون قرشا في الليلة، وفي مدينة منيا القمح مسقط راسه. وفي عام ١٩٣٠ نزع إلى القاهرة حيث أصبح صديقا للشيخ رفعت والشيخ على محمود، وفي عام ١٩٣٥ أصبح قارئاً لمسجد سيدى الشعراى، وبدأ نجمه يلمع خلال الحرب من محطة برلين العربية ومحطة القاهرة.

والشيخ السعدنى كان فنانا يحب الاستماع إلى صوت الشيخ محمد رفعت والشيخ على محمود، وكان أدبيا أيضا وله كتاب (في خدمة القرآن)، عرض فيه لطريقة بعض قدامى القراء، وشرح فيه مذهبهم في التلاوة وطريقتهم في الأداء.

وعندما كان الشيخ السعدنى في الثانية عشرة من عمره، كانت الثورة المصرية عام ١٩١٩ تجتاح أرض مصر، وكانت المراكز الكبرى تقيم في كل يوم مأتما لشهائدها، وكان مركز منيا القمح يقيم في كل يوم أكثر من مائت يقرأ فيه أكثر من قارئ شهير.

وكان الشيخ السعدنى يقطع كل مساء عشرة كيلومترات من قريته إلى منيا القمح ليستمع إلى المشاهير الذين جاءوا ليرتلوا القرآن، وكان يجلس الساعات الطوال على الأرض خلف السرادق لسمع بعيدا عن العيون، فلم يكن دخول السرادق مباحا لأمثاله من الصبية الصغار، وذات مساء بكى الشيخ السعدنى وهو

عرضه على لجنة رسمية للامتحان!! امتحان؟! قارئ مشهور في العالم العربي احترف القراءة عشرين عاما، ثم بعد ذلك كله امتحان!! وسكت الشيخ السنديوني ولم يتكلم، وفي يوم الامتحان ذهب إلى الاذاعة ودخل الاستديو، بينما كان في حجرة مجاورة عدة اشخاص اشبه بمحلفين، في انتظار اصدار حكمهم، له..أو عليه.

وكان بينهم المعمم الذى يفهم سر المهنة، والذى ليس له من موهبة إلا صلة وثيقة بالقصر الملكى الذى كان يحكم البلاد، واعطيت الاشارة للشيخ السنديوني لكي يقرأ، وبهت الجميع عندما ارتفع صوت الشيخ يلعلع بالغناء، ثم خرج صائحا من الاستديو: مادام عاوزين امتحان أنا مستعد امتحن في الغناء، إنما في القراءة مستحيل.. أنا قارئ من عشرين سنة وصوتى بيلعلع من إذاعات العالم! ثم خرج الشيخ من الاذاعة ولم يعد إليها قط.. وقضى عاما بلاعمل. ثم أراد أن يحتج على هذا الوضع الغريب، وكان احتجاجه فريدا ولاذعا، فقد افتتح الشيخ مقهى في شبرا وجلس الشيخ خلف البنك يعد المارك، ويعد المشاريب للزبائن الكرام، وذات ليلة باردة من ليالى عام ١٩٥٢ مات الشيخ السنديوني داخل مقهاه.

ولقد كان صوته غريبا، يقطر الما وحزنا، ومرارة كحياته التى لم تستمر طويلا، فقد مات الشيخ السنديوني في سن الأربعين! كان صوته يشبه صوت الناي الحزين، صوت مصرى عريق، فيه صرخات وأنات وزفرات الفلاحين الذين عاش معهم وتربى بينهم، وانتهى إليهم آخر الأمر جثة بلا روح، فقد أوصى قبل موته بأن يدفنه على شاطئ الرياح في سنديون!!

وفي يافا كان بيته ندوة لأهل الفن، وكان أبرز مافيه حبه الشديد للمعرفة والثقافة وتعلقه الشديد بالمثقفين، وفي تلك الندوة كان يسهر الشاعر الكاتب المرحوم عبدالرحمن الخميسى وسامى

داود وعميد الامام وسليم اللوزى، وتردد عليها أيضا عباس محمود العقاد وإبراهيم المازنى خلال زيارتهما الخاطفة لفلسطين، وإبراهيم الشنطى صاحب جريدة الدفاع في يافا الذى كان من أصدقائه هو وناصر الدين النشاشيبي، وسعيد التلاوى صاحب الفيحاء في دمشق، وسعيد فريحة صاحب الصياد في بيروت، وعندما مات رثته صحف العواصم العربية كلها ماعدا صحف القاهرة، فقد نشرت خبر وفاته في سطور.

وفي بداية عام ١٩٤٨ قبل بدء الحرب الفلسطينية بأشهر قليلة، كان الشيخ يقرأ لآخر مرة له في فلسطين، وفي مدينة القدس، وكانت المناسبة وفاة عربى كبير يسكن المدينة التى سقطت فيما بعد في يد إسرائيل، وفي تلك الليلة نشب قتال وحشى بين شباب جمعية الأراجون الارهابية والشباب العربى، وأصيب الشيخ يومها في رأسه، فحزم امتهته في المساء، وعاد إلى القاهرة بقطار الفجر، وبعد أن خمدت النار في فلسطين، ظل الشيخ يحن إلى الأرض المقدسة التى شهدت مجده، فطار من جديد إلى عمان، وظل هناك حتى قدر له أن يقرأ في مآتم الملك عبدالله، ثم سافر إلى سوريا وإلى لبنان وقضى في كل منهما زمنا.

ثم عاد إلى القاهرة ليستقر في حفرة على النيل.

المان السماء



من الشيخة
أم محمد
إلى الشيخة
كريمة العدلية

بموت السيدة نبوية النحاس في عام ١٩٧٣ انطوت صفحة رائعة من كتاب فن التلاوة والانشاد الديني في العصر الحديث، فقد كانت السيدة نبوية هي آخر سيدة مصرية ترتل القرآن الكريم في الاحتفالات العامة، وفي المناسبات الدينية، وفي المآتم والأفراح. وكان الاستماع إليها مقصوراً على السيدات، وكان بمسجد الحسين قسم خاص للسيدات يدخلن إليه من باب خاص. وكانت السيدة نبوية هي واحدة من ثلاث سيدات اشتهرن في نفس الوقت: السيدة كريمة العدلية والسيدة منيرة عبده.. والسيدة نبوية. أما السيدة كريمة العدلية فهي أشهرن جميعاً..

ظهرت في عصر الشيخ علي محمود والشيخ منصور بدار، ووصل صوتها للعالم العربي كله من خلال الميكروفون أيام الاذاعات الأهلية، وعاشت السيدة كريمة حتى تم تمصير الاذاعة، وظلت تذيع القرآن الكريم بصوتها العذب إلى فترة الحرب العالمية الثانية. وكانت هناك قصة حب شديد وعجيب بين كريمة العدلية والشيخ علي محمود. كانت تعشق صوته وطريقته الفذة في الأداء، وكان هو يفضل الاستماع إليها ويفضل صوتها على أصوات بعض القراء، وكثيراً ما كانت تصلى الفجر في الحسين في الركن المخصص

لل سيدات لكى تتمكن من سماع صوت الشيخ على محمود وهو يرفع أذان الفجر بصوته الذى ليس له مثيل. ولم يسبق الشيخة كريمة العدلية واحدة من السيدات اللاتي احترفن ترتيل القرآن وإنشاد المدائح النبوية إلا السيدة أم محمد، التي ظهرت في عصر محمد على، وكان من عاداتها إحياء ليالى شهر رمضان الكريم في حرمك الوالى.

كما كانت تقوم بإحياء ليالى المآتم في قصور قواد الجيش وكبار رجال الدولة. وكانت موضع إعجاب الباشا محمد على، وحصلت على العديد من الجوائز والهدايا، وأمر محمد على بسفرها إلى اسطنبول لإحياء ليالى شهر رمضان المعظم في حرمك السلطنة. وماتت الشيخة أم محمد قبل هزيمة محمد على ومرضه، ودفنت في مقبرة أنشئت خصيصاً لها في الإمام الشافعى، وجرت مراسم تشييع الجنازة في احتفال عظيم.

ولكن الشيخة منيرة عبده لم تحقق الشهرة التي وصلت إليها كريمة العدلية، بالرغم من وصول صوتها إلى العالم العربى عبر ميكروفونات الاذاعات الأهلية المصرية، وعندما قرأت أول مرة في عام ١٩٢٠ كانت فتاة صغيرة في الثامنة عشرة من عمرها، نحيفة وضعيفة وكفيفة أيضاً، وأحدث ظهورها ضجة كبرى في العالم العربى، ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت الشيخة منيرة ندا للمشايخ الكبار، وذاص صيتها خارج مصر، وتهاقت عليها جميع إذاعات مصر الأهلية. وفي عام ١٩٢٥ عرض عليها أحد التجار الاثرياء التونسية إحياء شهر رمضان في قصره بصفاقس وبأجر ألف جنيه، وهو مبلغ يساوى بحساب النقد هذه الأيام مائة ألف جنيه.

ولكن الفتاة الصغيرة الكفيفة لم تستطع تحقيق أمنية الرجل

الثرى الطيب، فلم يكن من الرجل الطيب الا الحضور إلى القاهرة وقضاء شهر رمضان في مصر. وعندما أنشئت الاذاعة الرسمية في القاهرة، كانت الشيخة منيرة في طليعة الذين رتلوا القرآن من خلال موجاتها، وكانت تتقاضى خمسة جنيهات، في الوقت الذى كان يتقاضى فيه الشيخ رفعت عشرة جنيهات، ومع أن الشيخة منيرة عبده كانت على علاقة طيبة بكل القراء، إلا أنها كانت تفضل الشيخ محمد الصيفى على الجميع، وكانت تعتبره شيخ القراء جميعاً.

وقبل الحرب العالمية الأخيرة بقليل أفتى بعض المشايخ الكبار بأن صوت المرأة عورة، وهكذا اختفت الشيخة منيرة من الاذاعة، وتوقفت إذاعة لندن وإذاعة باريس عن إذاعة إسطواناتها خوفاً من غضب المشايخ الكبار، وبالرغم من تدفق المئات من خطابات الاحتجاج من المستمعين على ابعاد الشيخة منيرة، إلا أن الاذاعة لم تستطع أن تفعل شيئاً. فقد قضى الأمر بعد فتوى المشايخ الكبار، واعتكفت الشيخة منيرة في آخر أيام حياتها في بيتها تجتر ذكريات الايام الجميلة القديمة الحافلة، وعاشت حتى ماتت وهى تمارس هوايتها الوحيدة، وهى الاستماع والاستمتاع بأصوات العمالقة الذين انتقلوا إلى رحمة الله، فقد كانت تحتفظ لهم بمجموعة كبيرة من الاسطوانات التي تحفظ أصواتهم.

وكانت تردد دائماً أمام الاصدقاء والمتريدين عليها: إن الزمن يفقد الأصوات بعض خصائصها الجميلة، ولذلك فهى تفضل الاستماع إلى أصوات المشايخ الكبار عندما كانوا في فترة الشباب. والحقيقة أن مصر كانت تضم العشرات من السيدات القارئات غير كريمة العدلية ومنيرة عبده ونبوية النحاس. فقد كانت إلى جانب هؤلاء السيدات الشهيرات الكثرات من السيدات اللواتى يمارسن هذه المهنة في احياء القاهرة الشعبية وفي الريف.

والسبب أنه كانت للأسر المصرية حتى بداية القرن تقاليد ظلوا متمسكين بها حتى الربع الأول من هذا القرن، كانت ليالى المآتم تقام ثلاثة أيام للرجال وثلاثة أيام للنساء، وكان لا بد من وجود قارنات لإحياء ليالى المآتم عند السيدات، وفي البداية لم يكن هؤلاء السيدات يحترفن مهنة ترتيل القرآن، ولكنهن كن يحترفن مهنة النياحة، أو المعدادات كما كان يطلق عليهن أبناء الشعب، وأشهر هؤلاء كانت الحاجة دربالة بالجيزة، وعندما كانت تحترف النياحة كانت قادرة على أن تستدر الدمع من عيون الصخر، ثم احترفت قراءة القرآن فترة من الوقت، ولكنها لم تستمر طويلاً، فقد أصيبت بمرض خبيث، وماتت وهى فى الخمسين من العمر.

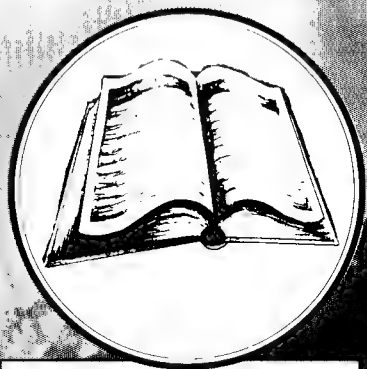
وكانت هناك الحاجة خضرة فى المنوفية، والست عزيزة فى الاسكندرية، والست رتيبة فى المنصورة، والشيخة أم زغلول فى السويس. والغريب أنهم جميعاً كن يحترفن النياحة فى المآتم قبل ان يتحولن إلى قارنات. والنياحة مهنة معروفة فى مصر، ويبدو أنها ميراث من قدماء المصريين، الذين كانوا يحتفلون بالميت أربعين يوماً بالتمام والكمال.

وكان للنياحة فى مصر نجوم أشهر من نجوم السينما حتى منتصف القرن الحالى.. وهذه المهنة نفسها.. النياحة.. كانت معروفة فى الجزيرة العربية أيام الجاهلية وصدر الاسلام، وكان يحترفها ابن سريج فى المدينة، ومعبد فى مكة قبل انتقالهما إلى الطرب والغناء، ولكن أشهرهم جميعاً فى التاريخ المصرى هى الشيخة أم عبدالسلام. وقد ظهرت فى العصر المملوكى، ثم تزوجت من شيخ مجذوب كان يحترف مهنة كتابة الأحجية.. وبعد أن استولى على ثروتها، هرب منها، ورفعت الأمر إلى المملوك الوالى، ولكنها اكتشفت أنه كان على علاقة بالوالى المملوك وأنه كان كاتب

الأحجية الرسمى للبلاط المملوكى، فأصابها الجنون، ومزقت ملابسها، وراحت تجوب حواشى القاهرة وأزقتها عارية كما ولدتها أمها، ورفع الناس شكواهم ضدها إلى المملوك الوالى، فأمسك بها وضربها وحبسها، وعندما أطلقها من محبسها عادت إلى سيرتها الأولى، فانقض عليها بعض الحرافيش ورجموها بالحجارة حتى ماتت. ودفنت الشيخة أم عبدالسلام فى مقابر الصدقة، وزهبت غير مأسوف عليها.

والآن ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين، اختفت هذه الظاهرة تماماً فى مصر، وربما فى البلاد العربية أيضاً، ولكنها موجودة فى بلاد جنود شرق آسيا، وقد استمعت منذ عدة أعوام فقط إلى قارئة فى الفلبين، واستمعت إلى قارئة ماليزية فى تايلاند، وكانت تقرأ للرجال، ولكن من وراء ستار!

أمان السماء



عودة
الشيخ !

الشيخ أبو العيين شعيثع من الشيوخ المتكلمين،
أحيانا يقول كلاما صحيحا، وأحيانا يقول كلاما من
النوع المضروب، ومن كلامه الفارغ ما صرح به
لمندوب جريدة يومية بأن عسكر يوليوي منعه من
القراءة في الإذاعة، ولما سأله المحرر: ليه؟ أجاب
قائلًا: لأننى كنت قارئ الملك قبل الثورة..

ويؤسفنى أن أقول لكم - في شهر رمضان
المبارك - بأن كل ما نطق به الشيخ في هذا الحديث
كذب في كذب!

فهو أولا وقبل كل شيء لم يكن قارئ الملك، ولكنه أحيانا كان
يقرأ في السرايق الملكى داخل قصر عابدين في شهر رمضان، وكان
يشترك مع عشرات من كبار القراء في ذلك الزمان، وإذا كان أحد
القراء يستحق هذا اللقب « قارئ الملك » فهو المرحوم الشيخ
مصطفى إسماعيل، الذى كان قارئ الملك بحق، ثم أصبح قارئنا
للثورة، وعلى أساس قاعدة ثابتة ولا تتغير وهى خياركم في
الجاهلية.. خياركم في الإسلام ! وهى ليست كلمات كذب فقط،
ولكنها تكرر للفضل وعدم أعتاف بالجميل، وهى صفحات كنت
لا أود أن أصف بها الشيخ أبو العيين شعيثع الذى تعرفت به
وأنا شاب صغير قبل الثورة بعدة سنوات ، يومها كان الشيخ

شعيشع أحد الأصوات العظيمة في دولة التلاوة، وقد أحدث في بدايته ضجة كبرى في مصر، وفي العالم العربي، لأنه كان أقرب الأصوات إلى صوت الشيخ محمد رفعت، ولذلك وقع الإختيار عليه لتكملة أشربة الشيخ محمد رفعت التي نال منها الزمن. وقام بهذا العمل الجليل مع زميله الأستاذ الدكتور أحمد هبة الذي كان يعمل أستاذًا في كلية الزراعة، ولا يستطيع أحد أن يتبين الفرق بين صوت الشيخ شعيشع والشيخ محمد رفعت في تلك الإسطوانات والأشرطة إلا عبقرى مثل محمد عبد الوهاب، أو سميع قديم وخبير مثل كمال النجمي.

ثم حدث في بداية الستينيات أن أصيب الشيخ بمرض خطير أصاب أحباله الصوتية فلم يستطع القراءة، ولأن الدنيا كانت بخير لاتزال، فقد اتفق الرأى لدى عسكر يوليو على إذاعة أشربة الشيخ القديمة، مع الاستمرار في صرف نفس المكافأة المالية التي كان يتقاضاها وهو قادر على العطاء، وظل العمل ساريا على هذا الأساس، وحتى انتقل عبد الناصر إلى رحاب الله.

هذه هى قصة الشيخ شعيشع مع عسكر يوليو كما حدثت بالتمام والكمال، وإذا كان هذا هو نوع الكلام البطال الذى يقوله الشيخ شعيشع، فهناك نوع آخر من الكلام صرح به في رمضان قبل الماضى لمدنوب الإذاعة البريطانية في لندن، عندما سألته عن السر في عدم ظهور أصوات جديدة مميزة في دولة التلاوة، فأجاب الشيخ بأنها ظاهرة غريبة ومريبة أيضا، وكشف الشيخ شعيشع عن سر لم نكن نعلمه. فقد مسح الشيخ مصر كلها من أسوان وحتى الاسكندرية بحثا عن أصوات جديدة وواعدة وبتكليف من وزارة الأوقاف، ولكنه لم يعثر على صوت واحد يبشر بالخير، ولما سئل عن السر وراء هذا العقم الشديد، أجاب الشيخ:

إن السبب في رأيه شخصيا هو الأكل البلاستيك الذى يتعاطاه المصريون منذ عدة سنوات.. وهذا القول من الشيخ شعيشع على ما يحمله من سخرية هو القول الصحيح.. اختفت الفراخ البلدى، وأصبح السمن البلدى أندر من المخدرات، والعسل الأبيض تحول إلى مياه مخلوطة بالسكر، والعيش البلدى الحلو حل محله العيش الأسمنت، والسلك النيلى يحمل سمومه ويسبح بين الأمواج، واللحم الفاسد يبنى العمارات على النيل للسلادة المستوردين.. ويبنى المدافن للملايين من أبناء مصر في صحراء الهرم وفي صحراء القيوم، ناهيك عن فراخ المزارع المحقونة بحبوب منع الحمل، وسمك المزارع الذى يتغذى من المجارى.

• والطعام الفاسد ينتج أحيالا صوتية فاسدة، والنتيجة كما نشاهدها اليوم ونلمسها جميعا، سواء في مجال الغناء أو في مجال التلاوة، وصار التقليد هو العملة السائدة.

الدكتور نعينع مثلا هو الصوت المفضل الآن لدى أجهزة الإعلام، مع أنه نسخة مقلدة من الشيخ مصطفى إسماعيل. وهناك عشرات من القراء يقلدون الشيخ الطيبلاوى، والباقيون لا يقلدون أحدا لأنهم لا يستطيعون، ولا يقولون شيئا لأنهم ليسوا مؤهلين وليسوا قادرين، وأصبحت المسائل سهلة، لأن كل مايزيده التلفزيون بالذات من أصوات في مجال التلاوة هى أصوات مضروبة، ولو ظهر أصحابها في منتصف القرن لكانت أسمى أمانيتهم هى التلاوة في مقابر الإمام الشافعى، لأن قراء قرافة الإمام الشافعى في تلك الفترة كانوا بالتاكيد أرفع مستوى من قراء التلفزيون هذه الأيام، تبقى الإذاعة، ويبقى لإذاعة الشرق الأوسط فضل علينا وعلى المستمعين بشكل عام، ولأنها احتفظت لنفسها بصوت عبقرى الحنجرة والقلب الشيخ محمد رفعت، ولكن الإذاعة بوجه عام فرطت في حقها وفي حقنا أيضا، عندما أهدرت تراثها

العظيم من تسجيلات أصحاب الأصوات النادرة.

ونعود مرة أخرى إلى الشيخ شعيشع الذى كان طالبا بمدرسة المنصورة الثانوية، شاب حكم عليه جميع الأساتذة بأنه لا يصلح لشيء، لأنه أبدا ساهم على الدوام، وكان الغريب فى أمر الفتى أنه كان على الدوام يحرك شفثيه بكلام خافت.. وكان الذين يجاورونه فى الفصل يعلمون أنه يرتل القرآن، ورسب الطالب عاما وأعواما كثيرة، واستدعى الناظر أخاه الكبير ليقول له: إن أخاك لا يصلح هنا.

كان هذا آخر عهد «أبو العينين شعيشع» بالمدرسة، وخرج الشيخ أبو العينين إلى الشارع، يسهر كثيرا فى الموالد ويحوم حول المنشدين فى الأسواق، ويطرب كلما سمع أن أحدا من كبار القراء سيسهر الليل فى المنصورة، وكان أخوه «الشيخ أحمد شعيشع» من مشاهير القراء فى المنصورة، فكانت فرصة طيبة للسيد أبو العينين أن يذهب معه كل مساء إلى كل ماتم أو ليلة مولد يحتفل بها.

وسمع الشيخ أبو العينين فى الليالى الكثيرة التى سهرها الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى، والشيخ محمد الصيفى، والشيخ محمد رفعت، وذات ليلة كان الشيخ أحمد متعبا، فحل محله الشيخ أبو العينين، وسمعه الشيخ رفعت فأعجب به، وتنبا له بمستقبل باهر، ثم لم يلبث الشيخ أبو العينين أن نزح إلى القاهرة، وكان ذلك فى عام ١٩٤٢، فقد سمعه رجل من رجال القصر الملكى، فاستدعاه ليقرا فى الإذاعة، ومنذ ذلك الحين والشيخ أبو العينين لا يفارق الشيخ رفعت، الذى اتخذ منه تلميذا له، واتخذ الشيخ أبو العينين من القاهرة مقرا له، ولم يلبث أن نزح إليها الشيخ أحمد شقيقه الأكبر بعد أن اعتزل القراءة فى المنصورة، وعاش ليرعى شئون أخيه.

وفى عام ١٩٤٨ بلغ أجر الشيخ أبو العينين مائة جنيه فى الليلة الواحدة، وأصبح يتقاضى خمسة وعشرين جنيها عن كل إذاعة له من محطة القاهرة، وهو مبلغ لم يصل إليه حتى الآن سوى أربعة من كبار القراء، مصطفى إسماعيل، وعبد الفتاح الشعشاعى، ومحمد الصيفى، والشيخ أبو العينين.

وعندما توفيت ملكة العراق سافر الشيخ إلى بغداد ليحيى ماتمها بدعوة رسمية من الحكومة العراقية، وتقاضى فى تلك الرحلة ثلاثة آلاف جنيه، وفى عام ١٩٥٢ استدعته الإذاعة المصرية ليقوم بتكملة أشرطة المرحوم الشيخ محمد رفعت.

والذين يستمعون الأشرطة الآن لا يستطيعون ببساطة تمييز صهوت الشيخ شعيشع أثناء التلاوة، السبب فى ذلك أن الشيخ أبوالعينين كان يقرأ بطريقة الشيخ رفعت قبل وفاته، وكان الشيخ رفعت يرضى عنها كثيرا، إن الشيخ أبو العينين فى الخامسة والسبعين من عمره، وكان يرتدى الكاكولا والطربوش، مخالفا بذلك الزى التقليدى للمشايخ الذين ظهروا فى دنيا التلاوة، ولكنه اضطر إلى خلع الطربوش عندما زار تركيا، وكان مندوب السفارة المصرية فى انتظاره بالمطار، وحذره المندوب من ارتداء الطربوش فى اسطنبول لأن عقوبة ارتدائه السجن، فخلع الشيخ الطربوش، وتعمم بمنديل، ثم تعمم بعد ذلك بشال أبيض.

ولكن سوء الحظ تدخل فى حياة الشيخ وهو فى قمة عبقوانه وشبابه، فقد أصابه مرض غريب أثر على أحباله الصوتية، ثم مات أخوه الشيخ أحمد الذى كان بمثابة الوالد، ولكن الشيخ استطاع بالصبر أن يهزم مرضه، وعاد إلى القراءة من جديد، ويسافر كل عام إلى الخارج لإحياء ليالى شهر رمضان المبارك، وأشرطته تسجل أرقاما عالية فى التوزيع، كما أنه يلعب الآن دور الكشفاف فى لعبة

المان السماء



صوت

عموم

المسلمين

كرة القدم، وله جولات واسعة في ريف مصر لإكتشاف المواهب الجديدة، وله رأى في عدم وجود أصوات جديدة وأعدة.

والسبب في رأى الشيخ أن الكتاتيب اختفت في الريف، كما أن الأكل البلاستيك والماء الملوث، واستخدام الأسمدة الكيماوية أثرت عضويا على صحة الإنسان، وهو رأى صحيح بالتأكيد، لأن الناس زمان كانت تأكل الطعام الطبيعي بلا كيماويات ولا تلوث.. ولهذا السبب كان في مصر أكثر من عشرين قارئاً للقرآن من فصيلة العباقرة، اجتمعوا جميعا في وقت واحد في بداية القرن العشرين.

والآن.. ربما لا يوجد من صنف العباقرة إلا شخص أو شخصان، والباقون من صنف البلاستيك كالطعام الذى يأكلونه، ولا يزال الشيخ شعيشع يعيش بيننا، نفحة من نفحات الماضى الجميل الذى عاشه المصريون وسعدوا به.

صوت الإنسان مثل لون عينيه ليس له دخل فيه
وليس له دلالة.

العيون الخضر مثلاً لا تدل على أن صاحبها مغفل
أو ذكي أو حريص أو نواسى الطبع يرتكب الإثم
ويفخر به ولا يبالي!

• والصوت القبيح قد يكون لصاحب نفس طيبة،
والصوت الجميل قد يكون لشيطان رجيم!

والشيخ عبد الباسط عبد الصمد له صوت جميل
ونفسية طيبة أيضاً، وعندما يكون لك نفسية طيبة
وصوت قبيح، فلن تكسب شيئاً. فإذا كان لك صوت
جميل ونفسية من أى لون فستصبح ثرياً وشهيراً
قبل أن تبلغ الثلاثين، فإذا كان صوتك من معدن
الشيخ عبدالباسط، فأنت تستطيع أن تدخل التاريخ
كصاحب صوت وطريقة من أجمل ما عرفته دولة
التلاوة في تاريخها الطويل .

بدأ الشيخ عبدالباسط يعشق سماع القرآن الكريم من المشايخ
الكبار في مساجد أرمنت وفي مقابرهما، ولكنه كان يفضل سماعه
منبعثاً من ذلك الصندوق السحري الذى اسمه الراديو.

وفي عام ١٩٣٩ كان هذا الصندوق أندر من الذهب، وكان في أرمنت كلها راديو واحد يبعد عن بيت الشيخ عدة أميال، وكان الشيخ يذهب حيث يوجد الصندوق مرتين كل أسبوع، مرة في يوم الثلاثاء ومرة أخرى في يوم الجمعة، وهذه اللحظات التي كان يقضيها بجوار الصندوق هي أسعد لحظات عمره.

كان يجلس مستندا على جدار الدكان، والصندوق السحري ينبعث من داخله صوت كأنه السحر، صوت فيه شجن وفيه قوة وفيه خشوع وفيه رهبة، وفيه دعوة إلى ملكوت الله! كان هو صوت المرحوم الشيخ محمد رفعت .

وفي عام ١٩٤٠ بدأ الشيخ عبدالباسط يحترف قراءة القرآن، وكانت أولى لياليه في قريته، وفي ماتم أحد أقاربه، وقرأ عشر ساعات كاملة، ثم نقدوه أجره في الصباح، وكان الأجر عشرة قروش فضة، كمية مثل العيش المرحرح وعليها نقوش بارزة تقول أنها ضربت في عهد السلطان !

واشترى الشيخ حلاوة طحينية وملبن وكراملة وفول سوداني ولبن، ووضع الباقي في حصاله. فقد كان حلمه الكبير أن يقطع تذكرة ويركب القطار إلى بلد بعيد! وفي سن الخامسة عشرة تحقق حلمه الكبير، ركب القطار القشاش من أرمنت إلى قرية مجاورة وسهر هناك حتى الصباح، وعاد ومعه خمسة وعشرون قرشا كاملة! وكانت هذه الليلة هي تاريخ ميلاده، ففي تلك الليلة ولد قارئ جديد، صوته قوى وجميل، وهو شاب وصحته جيدة، وله أسلوب في القراءة لا يقلد فيه أحدا، وإنما هو لون جديد!

ومن تلك الليلة بدأت شهرة الشيخ عبدالباسط، وانفتحت أمامه قصور العمد والأعيان وباشوات الصعيد، وأصبح جوارب أفاق، يخرج من بيته أول الشهر فلا يعود إليه إلا في نهايته .

وتزوج وأنجب، وعبر البحر إلى بيت الله الحرام، وقرأ في الكعبة الشريفة، وعلى مسمع من نصف مليون من البشر، بينهم الهندي والعربي والتركي وابن القوقاز والذي من نسل المغول! ثم عاد ليعيش في قريته مرة أخرى .

وفي عام ١٩٥٠ جاء الشيخ إلى القاهرة ليزور السيدة زينب، وفي ليالي المولد كان يندس في الزحام كل ليلة مجهولاً مغموراً، يتفرج على الأضواء والألعاب وعلى الأذكار، ويخلع نعليه ويحذف إلى داخل المسجد، ليستمتع إلى القراء الكبار. وفي الليلة الختامية كان هناك أكثر من قارئ عملاق يخوضون فيما بينهم معركة حامية لإحياء مولد السيدة، ثم أدرك التعب هؤلاء المشايخ الكبار فكفوا عن التلاوة، ثم دعا بعض الناس الشيخ عبدالباسط إلى القراءة، فهو على الأقل يستطيع أن يقتل الوقت حتى يستريح المشايخ الكبار، ويستأنفوا التلاوة.

وتقدم الشيخ عبدالباسط على حذر، وقرأ وهو يتوجس شراً، والناس أيضا يتوقعون شراً. وعندما انتهى من التلاوة كان الفجر على الأبواب، وكان المسجد قد ضاق بالناس، وخرج من المسجد في الصباح وعلى يديه ألف قبلة، ومعه أكثر من عقد لإحياء الليالي هنا وهناك، ولأول مرة أيضا وصلت إلى يديه عشرة جنيهاً كاملة.. ثم عشرون.. ثم ثلاثون.. ثم خمسون، وعند ذلك قرر اعتزال الصعيد والبقاء إلى الأبد في القاهرة، ونام الشيخ عبدالباسط في لوكاندة الشرق في السيدة زينب، ولم يمض عامان حتى وصل صوته إلى الأذاعة. ووصل أجره ١٢ جنيهاً كل نصف ساعة، ووصل أجره في الليلة إلى مائة جنيه، وغادر الشيخ عبدالباسط القاهرة إلى أرمنت ثم عاد ومعه كل العائلة، شقيقان وزوجته ونصف دسنة من الأطفال .

وذاع صيت الشيخ في كل مكان، وقفز أجره إلى مائتى جنيه ثم إلى ثلاثمائة جنيه .

والشيخ عبدالباسط طاف حول الكرة الأرضية وذهب إلى الشرق وإلى الغرب، ولم يثر انتباهه شيء في تلك البلاد إلا المعجبون بفنه . في أندونيسيا مثلاً كان المعجبون يقفون بالساعات ليستمعوا إليه، وفي مراکش قرأ للملك وحده، وفي باريس لم يجد مستمعين ولم يجد معجبين فشعر بالاختناق وهجرها بعد ثلاثة أيام، هجرها إلى كازابلانكا، وهو لا يذكر من باريس إلا شارع نهر الصين «السين»، وكان يحلو له أن يتنزّه فيه كل مساء وهو بالجبة والقبطان .

والشيخ عبدالباسط لم يؤمن بالسينما ولا بالمسرح ويجب القراءة، وأحسن كاتب قصة في نظره هو عباس العقاد! طه حسين كويس أيضاً، وهو مدمن قراءة صحف، وأحسن كتاب الصحف هو محمد حسنين هيكل ثم كامل الشناوى، ولا يغيبه في الجرائد إلا الكذب، إنها تكذب كثيراً، روت عنه أخباراً ملفقة وقصصاً من نسيج الخيال، وأطلقت عليه اسم «براندو» وهو يشعر بالأسف لاطلاق هذا الاسم عليه، لأن براندو ممثل ولأنه أمريكانى، ولكن الشيخ يتسامح مع الصحفي حتى لو أساء إليه !

والقارئ فنّان، وبعضهم يستطيع أن يصبح مطرباً وبسط الناس، ولكن القارئ يكسب أضعاف المطرب، إنه لا يحتاج إلى مؤلف ولا إلى تحت ولا إلى كورس ولا إلى ملحن. لأن الملحن هو علم أحكام القراءات .

والشيخ عبدالباسط لم يقرأ شعراً ولم يهتم بالشعراء، وسمع أن هناك رجلاً اسمه شوقى، ولم يعلم إن كان حياً يرزق أو طواه القبر، ويعرف أن توفيق الحكيم هو رئيس الشعراء، وكان أحياناً

يسمع الأغاني، وأحسن مطرب لديه كان محمد عبدالوهاب، وأحسن أغانيه هو في الليل لماخلى، وفانيت على بيت الحباب، وعبدالعليم حافظ مش بطل، وأم كلثوم معجزة.. قلته لن يجود بمثلها الزمان! إنها في الطرب مثل الشيخ محمد رفعت في التلاوة، وكلاهما عبقري وكلاهما فيه سحر من عند الله .

ولكن أشرطة رفعت التى تذيعها الاذاعة الآن تسمى إلى الشيخ، إنها صدق هزيل لصوته الحقيقى، الذى هو بحق أعجوبة الزمان ! وكان يؤمن جداً بالحديث الشريف: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

وقد عمل لدنيائه، أحب الأسفار والرحلات، وأنفق عن سعة، وسكن في شقة فاخرة، وكان في مكتبته تليفون أخضر، وكانت لديه عربة شيفروليه آخر موديل، وكما عمل لدنيائه عمل لآخرته، ومن أجل آخرته دخل مؤسساً في بعض الشركات، وأقام في أرمنت عمارة ضخمة، ولكنه لم يملك أرضاً ولا نقوداً، ولكنه كان يملك الستر وكان دائماً يسأل الله أن يديم الستر عليه !

وكان يميل في حياته للعزلة، كما كان يكره الاختلاط، وكانت وسيلته الوحيدة للاتصال بالناس هى الخطابات، وكان يضع في درج مكتبته ألف صورة له يضعها في خطابات في لون البنفسج ويرسل بها إلى المعجبين في كل مكان .

كانت هوايته الوحيدة هى قضاء عدة أسابيع كل شتاء في أسوان والاعتكاف في منزله طوال العام والعبث بحبات مسبح نادرة خضراء في لون البرسيم.. ولون السيارة والجنة.. والتليفون ولكن ولأن الأقدار بيد السماء - على رأى عمنا زكريا الحجاوي يرحمه الله - فقد أصيب الشيخ عبد الباسط وهو في ريعان شبابه وقمة مجده بمرض السكر اللعين. نال المرض من صحته وم

أمان السماء



الأسنان
والفنان
والتابع !

صوته، فلم يعد هو الشيخ عبدالباسط الذى نعرفه، انهكه المرض وظهرت آثاره على صوته الجميل، وداخ الشيخ بحثا عن دواء يصلح ما أفسده الدهر، ولكن سعيه لم يشفع له، فما هو مكتوب على الجبين لا بد أن تراه العين، وحدث أن جاء أحد الأمراء إلى القاهرة واتصل بالعبد لله طالبا منى القيام بواجب نحو الشيخ عبدالباسط، فقد جاء إلى القاهرة ومعه دواء من حبة البركة يحقق الشفاء للشيخ الذى بهر الجميع وأحبه الجميع ، وسألت عن الشيخ، واكتشفت انه يقضى فترة في المدينة المنورة بجوار قبر الرسول، وحدد لى موعد حضوره، واتصلت به في المساء وأجابنى صوت مشروخ من شدة البكاء، وعندما سألته عن الشيخ أجابنى في حزن شديد :

لقد مات منذ ساعات .

رحم الله الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، الذى أحبه الملايين وعشقه.. من أمريكا حتى الصين !

خارج مصر .. وفي كل أنحاء العالم الإسلامى، كانوا يطلقون عليه شيخ القراء المصريين، وهى تسمية خطأ، والصحيح أنه شيخ المقارئ، والمقارئ هى إدارة رسمية، وكان المرحوم الحصرى هو شيخها بلا منازع، أما شيخ القراء فى عصر الشيخ الحصرى فكان الشيخ مصطفى إسماعيل صاحب الحنجرة الذهبية، وبوفاته احتل الشيخ عبدالباسط عبدالصمد مكانه بلا منافس، فهو صاحب الحنجرة الفضية، وأحد أعلام القراءة فى العصر الحديث !

والشيخ الحصرى رحمة الله عليه كان صاحب مدرسة مميزة فى الأداء، ولكنه لم يكن من الطبقة الأولى بين القراء. وكان أقرب إلى الشيخ محمد الصيفى، وكلاهما عالم فى القراءات وأستاذ فى التجويد، وكلاهما حجة فى القراءات الصحيحة.. ولا يزيد! والفرق بين مصطفى إسماعيل ومحمود الحصرى هو ذاته الفرق بين الأديب نجيب محفوظ وأستاذ الأدب فى الجامعة وهو نفسه الفرق بين المدرب الجوهري ومحمود الخطيب.. فالأول مدرس والثانى فنان، ومن السهل إنتاج ألف أستاذ، ولكن من العسير خلق فنان واحد، لأن الفنان من صنع ربى، وليس من صنع المدرس والجامعات!

في استطاعة أى إنسان أن ينشئ جامعة لخريج ألف متعلم، ولكن ليس في استطاعة أى مخلوق أن ينشئ موهبة حتى ولو كانت ضئيلة الحجم أو قصيرة القامة، لأن الموهبة نبتة غريبة في حقل البشرية، وهى هبة إلهية، ثم تجربة وتحصيل بعد ذلك. كما أنها لا تتكرر، فهى طلقة واحدة سواء استقرت في الهدف أو طاشت في الفضاء! ولقد كان الحصرى عالماً فذاً ومتعلماً عظيماً، وكان دارساً ومدرساً، وترك بموته فراغاً كبيراً لأن أغلب القراء الذين على قيد الحياة الآن لم يحصلوا تعليمه، ولم يبلغوا علمه، وبعضهم موهوب، والبعض الآخر لا فن ولا معرفة ولا رغبة في شيء من هذا.. ولا أمل!

وما أكثر القراء العظام الذين ظهوروا في مصر منذ بداية هذا القرن، وكان من بين هؤلاء أستاذ جامعى هو الدكتور أحمد هبة، وكان يتمتع بصوت قوى وقرار سليم، ويعتبر واحداً من اثنين في مصر يجيدان تقليد صوت محمد رفعت، وكان الآخر هو الشيخ أبو العنين شعيع.

حرص الدكتور هبة على أداء صلاة الجمعة في مسجد فضل باشا بالجمايز، وهو المسجد الذى ظل الشيخ رفعت يقرأ فيه حتى مات، وقد تنازل الدكتور هبة عن أجره من اذاعة القاهرة، ولكنه كان يقبل أجره من الاذاعات الخارجية، ورفض في الوقت نفسه كل العروض التى عرضت عليه لاحتراف التلاوة، وأثر أن يكون هاوياً في دولة التلاوة ويمارس وظيفته كأستاذ للحشرات في كلية الزراعة، وظل رافضاً إلى آخر يوم في حياته لجميع العروض التى عرضت عليه القراءة في المآتم والحفلات العامة، ولذلك لم يشتهر الدكتور أحمد هبة جماهيرياً بما فيه الكفاية، وظل حريصاً على أن يتمتع بكل الفضائل التى يجب أن يتحلى بها قارئ القرآن، وعندما مات الدكتور أحمد هبة ترك وراءه ثروة من الاسطوانات

القديمة لعباقرة دولة التلاوة وأساتذة فن الانشاد الدينى .

وكان من بين هؤلاء العظام الذين ظهوروا في دولة التلاوة الشيخ محمود عبدالحكم، وكانت لأدائه نكهة خاصة، وبالرغم من أدائه الفذ وصوته المحبب إلى النفوس وانتشاره الواسع في جميع أنحاء العالم الإسلامى، فقد ظل يعيش عيشة متواضعة، لأنه لم يكن يحدد لنفسه أجراً، وكان بفضل مشاركة مصطفى إسماعيل في المآتم والحفلات العامة، وكان يقبل أى أجر يقدمه إليه ويدسه في جيبه دون أن ينظر إليه ولم يحدث في حياته كلها أن اختلف مع أحد من أبناء مهنته .

وكان الشيخ محمود على البنا من اللامعين في دولة التلاوة وكأنت له طريقة خاصة ومتميزة، ومن أغرب الأشياء أن العبد لله وقع بصره أول مرة على الشيخ محمود على البنا كان في حقبة الأربعينيات، وفي مبنى جمعية الشبان المسلمين، وكان الشيخ محمود على البنا أحد أفراد فريق المصارعة بالجمعية، وعندما احترف التلاوة استطاع أن يشق طريقه بسهولة وبسرعة فائقة إلى الصفوف الأولى، فصار في وقت قصير ن ندا للشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبدالباسط عبدالصمد.

والشيخ محمود على البنا يمتاز بأنه صاحب رؤية سياسية وصاحب موقف أيضاً، وكان ناصرياً ومعجباً على نحو ما بانحياز حكومة عبدالناصر إلى صفوف الفقراء.. وظل حريصاً على قراءة القرآن في بيت عبدالناصر في مناسبة الاحتفال بذكره كل عام، وكما كان جميل الصوت، كان أيضاً جميل الصورة، وكان خير سفير للإسلام بكل مكان يحل فيه.

حدث أن حاصره مئات الألوف من المسلمين في أندونيسيا ومنعوه من الانصراف ولم يتركوه إلا بعد أن ظل يقرأ لهم لمدة ست

ساعات متصلة، وقد اقترح بعد نكسة ١٩٦٧ أن يسافر ضمن وفد من كبار القراء إلى جميع الدول الإسلامية في آسيا وإفريقيا لجمع التبرعات لصالح إزالة آثار العدوان، ولكن الدولة رفضت الاقتراح، ومات الشيخ محمود على البنا بعد مرض خاطف لم يمهله طويلاً. وخسرت دولة التلاوة صوتاً من أعذب وأجمل الأصوات التي عرفتها في تاريخها الطويل.

ثم ظهر الشيخ هريدى الشوربجى وهو من الأصوات الذهبية، ولكن أحداً لم يهتم بتسجيل صوت الشيخ النادر، ولذلك ضاع صوته بعد موته مع أنه عاصر الاسطوانات وشهدت فترة من حياته عصر أشرطة التسجيل، كما كان هناك الشيخ محمد مجد، والشيخ شفيق أبوشهبة قارئ جمهورية زفتى بالاضافة إلى الشيخ محمد سعودى قارئ طنطا والشيخ شتات قارئ الجيزة.

ولكن أغرب ظاهرة في دولة التلاوة هي ظاهرة الشيخ مهدي السوداني، وهو قارئ مصرى سودانى، وكان نموذجاً رائعاً لوحدة وادى النيل، وقد عاش الشيخ مهدي في حي عابدين بالقاهرة في صدر شبابه، وعندما استمع إلى الشيخ على محمود أول مرة قرر أن يتبعه كظله، وصار الشيخ مهدي جزءاً من حياة الشيخ على محمود، يتواجد في المكان الذى يوجد فيه الشيخ على ويكون أول الحضور في حفلات الشيخ، ويكون آخر المنصرفين من حضرة الشيخ على، ولهذا فقد الشيخ مهدي شخصيته وذاب في شخصية الشيخ على فأصبح يتكلم مثله ويقرأ على طريقته وينشد التواشيح بأسلوبه، ويكح كما يكح الشيخ على، وكأنه كوكب صغير يدور حول الشمس وإلى الأبد.

وقد نجح الشيخ مهدي في أن يصبح عضواً في بطاقة الشيخ على محمود، وقبل أن يموت الشيخ على بفترة قليلة، وعندما استقلت السودان عاد الشيخ مهدي إلى أرض الجذور، فحمل الجنسية

السودانية وترك مسقط رأسه ومرتع صباه في عابدين وعاد إلى الخرطوم، ولكن أين صخب الحياة وبهجتها في عابدين من هدوء الخرطوم؟

أصيب الشيخ مهدي بصدمة كبيرة من شوارع الخرطوم الهادئة الخالية من المارة، ولعدم وجود المقاهى الشعبية الساهرة حتى الصباح كما كان الحال في سوق الاثنين، وفي حي البلاقة، وراح يجتر أيامه مع شلة من الأصدقاء من أبناء الجالية المصرية، وظل الشيخ مهدي حريصاً على قراءة القرآن بالسفارة المصرية في عيد ثورة يوليو، كما كان حريصاً على زيارة القاهرة كل صيف لرؤية الأهل والأقارب الذين أثروا البقاء في مصر والاقامة في عابدين.

والغريب أنه مات بعيداً عن وادى النيل الذى أحبه، ووافاه الأجل المحتوم في رحلة حج إلى بيت الله الحرام، ودفن في البقيع مع الصحابة والتابعين! ويخشى العبد لله أن يكون قد نسى أحداً من نجوم دولة التلاوة، وإن كان من الضروري أن أتعرض لذكر الشيخ على، وهو أحد القراء الذين ظهروا في بداية القرن، وكان من السهل عليه أن يحتل مكاناً لايقاً به تحت الشمس، ولكن حظ السوء أصابه بمرض في صوته أجبره على التوقف.

ولما كان الشيخ على يتمتع بتكوين جسماني يشبه تكوين الملائك، قامه قارعة وصدر عريض وعضلات مفتولة، فقد اكتفى بحضور حفلات المآتم والمناسبات التي يحييها كبار القراء، وكان محله المختار على مقعد بجوار دكة القارئ، وكان يقوم خلال السهرة بدور المطيباتى للشيخ الصييت، ويقضى السهرة يكرر بعض العبارات استحسنانا لصوت القارئ وتشجيعاً له، وهى عبارات محفوظة وقديمة ومكررة مثل.. يامشبع، صلى على البنى كده واشرع، صلى على حضرة النبى ﷺ، وهى مهمة لايزال يمارسها حتى الآن مئات من غير المؤهوبين، ويحصلون آخر

ألمحان السماء



وأجبروا
الشيخ
على الغناء!

السهرة على مايجود به القراء، ولكن عمنا الشيخ على لم يكن من النوع الذى يرضى بالجودة التى هى من الموجود، لكنه كان يصير على مشاركة القارئ فى الأجر الذى حصل عليه، ولأنه كان شديد القوة وشديد البأس فقد خضع له أغلب القراء، ولكن سوء حظ الشيخ على الذى لازمه منذ البداية أوقعه فى شر أعماله، فقد تحرش بأكبر رأس فى دولة القراء وهو الشيخ محمد رفعت، وكان سوء حظه مضاعفاً لأن السراىق الذى شهد الحادث كان مقاماً فى حى المديح.

وفى تلك الليلة رفع الشيخ على يده وهوى بها على وجه الشيخ رفعت، ولكن كفه لم تصل إلى وجه الشيخ، لأن الشيخ على نفسه كان قد سقط على الأرض، وأتحفه عشاق الشيخ رفعت بعلقة لم يأكل مثلها حمار فى مطلع، وكانت هذه هى آخر مرة يشاهد فيها الشيخ على فى الحياة !

وإذا كنا قد تعرضنا لحياة العظماء من أبناء دولة القراء، فلا بد قبل أن نسدل الستار على الماضى المجيد أن نتعرض لتاريخ الرجل الذى كان له الفضل الأول فى إحياء دولة التلاوة، وهو الذى فتح الطريق ومهده وفرشه بالورود والرياحين.. عمنا ومولانا فضيلة الشيخ ندا سلطان دولة التلاوة فى العصر الحديث !

قليلون جدا يعرفون أن محمد عبد الوهاب - في صباه - كان يعرض الحانه على اثنين من كبار القراء أحدهما الشيخ على محمود ، والثاني رجل يدعى الشيخ حسن المناخلي .. وكان عبدالوهاب يلجأ إليهما كلما واجهته مشكلة عويصة عند أداء لحن من الألحان.. وكان الشيخ المناخلي يتمتع بصوت جميل وأداء قلما تجد له نظيرا بين القراء ، واستطاع الشيخ المناخلي أن ينتزع الشهرة بطريقة فذة ، فقد كان يشترك مع الشيخ منصور بدار في إحياء ليلة بحى السلخانة ، وكان الشيخ بدار معروفا بمهارته في «سرقة» الجمهور ، فقد كان لا يدع الفرصة لزميله ليقرأ الوقت المخصص له .. فقد كانت طريقته في الأداء - مع ما له من صوت جميل - تجعل الجماهير تصر على سماعه حتى النهاية ، فضلا عن أنه كان في قمة الشهرة .

وكان الشيخ المناخلي في بدء حياته .. ولم يكن قد ذاع صيته بعد ، وعندما انتهى الشيخ بدار .. عادت الجماهير تلح عليه أن يواصل قراءته ، فاستجاب لها ، وعندما انتهى ارتفعت الأصوات من كل جانب تطلب إليه مواصلة التلاوة حتى الصباح ، وعندما هم الشيخ بدار

تقدم منه الشيخ المناخلى ، ودفعه بيده فألقى به من فوق «الدكة» وأخذ مكانه ، وهاجت الجماهير ، وهمت بضرب الشيخ المناخلى ، ولكنها سكنت وهدأت بعد أن استمعوا إليه ، وعندما انتهت ، أصرت الجماهير على أن يواصل التلاوة ، وانسحب الشيخ بدار ليلتها من الحفل .. بعد أن تمكن الشيخ المناخلى من «سرقة» جمهوره بنفس الطريقة التى كان يتبعها الشيخ بدار .

وعاش الشيخ المناخلى يقرأ عندما يريد ، وليس كلما طلب إليه أحد من الناس ، ولذلك لم يربح كثيرا .. وكان يكسب ما يكفيه ، ومات قبل إنشاء محطة الإذاعة .. وترك عدة أسطوانات قليلة ضاعت بعد ذلك ، ولم يعد أحد يعرف أين ضاعت ؟ وقبل أن يموت لحن عدة قصائد «ياقوتى الشفتين فالج السنتين» ، وتوشيح «كالبدر ليلة التمام» ، وتعتبر هاتان القطعتان من أروع ما لحن فى الموسيقى الشرقية ، وظل عدة سنوات يرفض القراءة فى الحفلات ، وكلما سُئل عن سر عزوفه عن التلاوة قال : إن الناس تسمعننى وتسمع الشيخ البربرى ، وكان هو - يرحمه الله - لا يرضى عن طريقة الشيخ البربرى وغيره من مشاهير عصره .



لم ينل قارئى فى عصره ، وفى إقليمه من الشهرة مثلما نال الشيخ صديق المنشاوى ، والد الشيخ محمد صديق المنشاوى «قارئ الإذاعة المعروف» ، رفض أكثر من مرة أن يذيع رغم العروض المغرية التى عرضت عليه ، وأخيرا منذ حوالى ٤٠ عاما سافرت بعثة من رجال الإذاعة إلى قنا لتسجيل شريط للشيخ المنشاوى .. وقبل الرجل هذه المرة ، وتمت إذاعة الشريط البيتيم له فى محطة الإذاعة .

نشأ الشيخ صديق المنشاوى وعاش فى مديرية قنا ، وذاع صيته فيها وفى الأقاليم المجاورة ، واتصل فى شبابه بالشيخ أبوالوفا الشرقاوى فطرب لصوته ، وجعله من خاصته ، ورفض الاشتراك فى

أحياء الليالى خارج حدود مديرتى قنا وجرجا ، وعاش حياته كلها لياساوم على الأجر ولا يتنق عليه !

حدث مرة قبل الحرب الأخيرة بأعوام - وكان الشيخ المنشاوى يتقاضى جنيتها واحدا عن كل ليلة - حدث أن كان يقرأ فى مأتم أحد أعيان قنا ، وفى آخر الليل دس شقيق الميت «بشىء» فى جيب الشيخ المنشاوى ، وانصرف الشيخ دون أن يلقي نظرة على هذا الشئ واكتشف الشيخ وهو فى المنزل أن الشئ الذى دسه الرجل فى جيبه ملصق واحد لا غير ! وقبل أن يفكر فى هذا الذى حدث ، كان الرجل صاحب الليلة يطرق باب الشيخ ليعتذر له عن الخطأ الشنيع الذى وقع فيه ، فقد كان فى جيب الرجل جنية ذهبى وملصق ، وكان ينوى إعطاه الجنية للشيخ ، فأخطأ وأعطاه المصم ، ولكن الشيخ المنشاوى رفض أن يتقاضى شيئا فوق المصم قائلا :

«قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» .

وكان للشيخ المنشاوى ولدان أكبرهما الشيخ محمد صديق المنشاوى القارئ المعروف ، والثانى كان ذا صوت جميل وموهبة حسنة ، وكان يقرأ القرآن والتواشيح ، وفى ليلة من ليالى عام ١٩٣٩ وقع عقدا مع إذاعة الشرق الأدنى ، واستعد للسفر إلى القدس ، ولكنه استيقظ عند الفجر فقد استبد به القلق ، وضايقه الحر ، ووقف برهة ينظر من النافذة فى الدور الخامس ، ولم تمض دقائق حتى شعر بإغماء سقط على أثره من النافذة إلى الشارع فمات ، وفى مأتمه قرأ الشيخ محمد رفعت ، والشيخ على محمود ، وغيرهما من مشاهير القراء ، فقد كانوا جميعا أصدقاء لوالده الشيخ المنشاوى ، وكان الشيخ رفعت يعتبره أستاذا فى التلاوة ، وصاحب مدرسة فنية فى التجويد .

وظل الرجل حتى مات وفيما لعده فلا يقرأ خارج حدود مديريته ،

ولا يساوم على الأجر ، ولا يتفق عليه ، مرة واحدة فقط هجر إقليمه وجاء إلى القاهرة ليقراً القرآن ثلاثة أيام متتالية ، حدث ذلك في عام ١٩٤٩ . وفي ماتم الشيخ محمد رفعت ، ولكن الظروف أجبرته مرة أخرى على زيارة القاهرة عندما أقنعه المذيع اللامع فهمي عمر وبلدياته بالحضور إلى القاهرة لإجراء اختبار لصوته في الميكروفون . وحضر فعلاً للقاهرة ، وقام الفنيون باختبار صوت الشيخ ، ولكن النتيجة للأسف الشديد كانت بالسلب ، وليست بالإيجاب ، لأن الأصوات لسوء الحظ كالوجوه ، وبعض الوجوه الجميلة لا تصلح للتصوير ، وأيضاً بعض الأصوات الجميلة لا تصلح للميكروفون ، والعكس أيضاً صحيح . ومن سوء حظنا أن الشيخ صديق المنشاوي الكبير كان صوته من هذا النوع !

وفي عام ١٩٣٧ اكتشف مفتش بيطرى بتفتيش بهتيم صوتاً جديداً يرتل القرآن في نغم رتيب حبيب ، يشبه إلى حد كبير صوت المرحوم محمد رفعت ، وكان صاحب الصوت الجديد هو الشيخ كامل يوسف البهتيمي .

وفي عام ١٩٣٨ قدم الدكتور والأستاذ الجامعي أمين زاهر ، الشيخ كامل إلى الأستاذ محمد فتحي الإذاعي المعروف . وفي اليوم التالي كان الشيخ كامل يذيع من محطة القاهرة ، وبأجر قدره ٥٠ قرشاً عن كل إذاعة . وعندما قامت الحرب قفز أجر الشيخ إلى خمسة جنيهات ثم إلى عشرة .. ثم إلى خمسة عشرة .

وفي عام ١٩٤٤ سافر الشيخ إلى فلسطين ليذيع من محطة الشرق الأدنى ، وبأجر خمسمائة جنيه في شهر رمضان .. وفي العام الذي يليه - ١٩٤٥ - سافر الشيخ كامل إلى السودان ليقراً القرآن في النادي المصري بالخرطوم طوال شهر رمضان وبأجر خمسمائة جنيه أيضاً ،

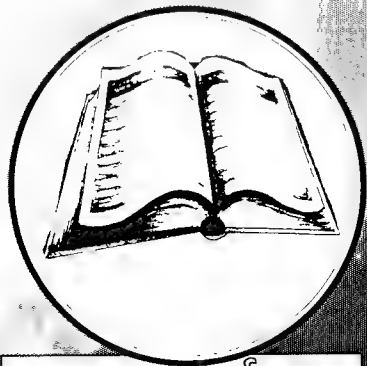
وعندما جاء عام ١٩٤٧ كان الشيخ كامل يذيع من محطات لندن وسوريا ودلهي والشرق الأدنى ، وبأجر قدره جنيه مصري واحد لكن عن كل دقيقة .

ولقد نشأ الشيخ كامل وعاش طفولته الأولى في بهتيم .. ثم نزح إلى القاهرة ليتعلم القرآن في مدرسة عثمان باشا ماهر بالقلة .. ثم دخل الأزهر ، وقضى فيه فترة قصيرة قبل أن يفصلوه ، وكان سبب الفصل هو كثرة تغيب الشيخ كامل عن حضور الدرس .. فقد كان الشيخ يظل طوال الليل يطوف حول السراقات التي يقرأ فيها الشيخ محمدرفعت ، والشيخ على محمود وغيرهما من العمالقة ، وكان الشيخ كامل لا يعود إلى منزله إلا مع الفجر ، وكان الشيخ رفعت هو أول العمالقة الذين تعرف بهم الشيخ كامل ، وظل الشيخ رفعت يخصه بالعطف والحنان حتى مات .

لقد ظل الشيخ كامل يبكي كلما سمع صوت الشيخ رفعت ، وكانت أحب الأصوات إليه هما صوتا الشيخ محمد سلامة ، والشيخ مصطفى إسماعيل ، فالشيخ مصطفى صاحب أجمل صوت بين القراء ، والحادث الوحيد الذي لا ينساه حدث له في فلسطين في عام ١٩٤٤ ، حيث حاصرت جماعة من الجنود الإنجليز السكاري وطلبوا منه أن يقرأ لهم ظناً منهم أنه يغنى .. واضطر الشيخ إلى أن يغنى لهم أكثر من ساعة ، وهم يتمايلون من النشوة والسرور ، قبل أن يتركوه .

والشيخ كامل توفي فجأة ، قبل أن يصل إلى سن الستين ، وهو متزوج ، وله عدة أولاد ، وكان من أمنياته أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة في القدس الشريف ، وأن يحصل على جميع تسجيلات المرحوم الشيخ محمد رفعت .

أحسان السماء



رأساء

الشيخ

عمران!

قبل أن يموت الشيخ على محمود بليلة واحدة كان يقرأ وينشد التواشيح حتى الصباح، وكان يبدو عليه ليلتها أنه أقوى من أى وقت مضى، وكذلك الشيخ ندا، فقد ظل يقرأ حتى مات.. رجل واحد فقط اعتزل التلاوة في قمة مجده عام ١٩٣٧، هذا الرجل هو الشيخ منصور بدّار.

كان الشيخ بدار صديقا لسعد زغلول، ومعظم رجال الوفد المصرى عاش معهم تلك الأيام المجيدة الخالدة.. أيام ثورة ١٩١٩، وكان فى وداع سعد عندما ذهب إلى المنفى، وكان فى استقباله عندما عاد.. ورأى الإنجليز يقتلون الناس فى الطريق والوطنيين العزل من السلاح يحاربون بأصابعهم، ويموتون وعلى أفواههم ابتسامة الرضا، وأراد الشيخ بدار أن يشارك قومه. ولم يكن يستطيع أن يفعل شيئا سوى أن يقرأ.. وكان الأزهر مهد الثورة، وفيه يلتقى كل مساء أقطاب الوطنية وأشهر الخطباء وعشرات الألوف من الجماهير الغاضبة الثائرة، وكان الحفل يبدأ وينتهى بصوت الشيخ بدار.. ولذلك أطلق عليه لقب «قارئ الثورة».

وقبل ثورة سنة ١٩١٩ كان الشيخ بدار يعيش فى استنبول، فقد كان الخليفة العثمانى يحب اقتناء كل شيء نفيس.. فقرر اقتناء الشيخ بدار.. لكونه صاحب أجمل وأعذب وأحلى صوت ظهر بين أصحاب أصوات - مطربين وقراء - منذ بداية القرن الحالى حتى يومنا

هذا، ويكفى أن الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبدالباسط عبدالصمد يتبعان طريقته.. وربح الشيخ بدار كثيرا.. واقتنى لنفسه ضيعة كبيرة في القليوبية، ثم فجأة اعتزل التلاوة - ولا أحد يدري لماذا - وكان ذلك في عام ١٩٣٧.. مع أنه قبل ذلك بعشر سنوات ظل أسبوعا كاملا يقرأ في مآتم الزعيم سعد زغلول.. ولم يحضر بعد ذلك حفلات عامة إلا مرتين.. مرة عام ١٩٣٠ في ذكرى وفاة سعد.. ومرة عام ١٩٣٦ في مآتم الملك فؤاد.. وعاش الشيخ بدار حتى بلغ من العمر أرزله، ولزم ضيعته يتلو القرآن أحيانا لأصدقائه، ويسرد على مسامعهم تفاصيل الأحداث التي عاشها بين اسطنبول والقاهرة. سألت مرة الشيخ السعدني عن رأيه في أصوات القراء، فقال:

رفعت مثل أبو ذر الغفاري، يمشى وحده ويموت وحده، ويبعث وحده يوم القيامة، وصوت الشيخ بدار كالذهب المصهور، وصوت مصطفى إسماعيل كالذهب المسبوك، وكل قارئ، وله رائحة خاصة، وطعم مختلف، مثل حديقة الفاكهة، فيها كل شيء من البلح الزغلول، إلى العنب البناتي، والمهم التوفيق وخدمة القرآن!



عاش الشيخ يوسف المنيلوي قبل الشيخ أحمد ندا، ومات بعده، وكان صديقا حميما للشيخ سلامة حجازي، وكامل الخلعي.. وكان يتحيز كثيرا للمرحوم داود حسنى، ويعتقد أنه أعظم ملحن ظهر في مصر، ومن هنا قامت العداوة بينه وبين الشيخ على محمود، ومن هنا أيضا جاءت المنافسة بين الرجلين.

وكان حظ الشيخ المنيلوي أضال من حظ منافسه الشيخ على محمود، ومن هنا أيضا امتلأت نفس الرجل حسرة وضاق بالحياة، وكانت طريقته في التلاوة حزينة باكية، ولعله القارئ الوحيد الذي ظهر في مصر، وكان يستفسر رأى السامعين في صوته أثناء التلاوة، فكان يقرأ «والشمس وضحاها» ثم يدقق النظر في الجالسين حوله

ويقول «إيه رأيك يا جدد»؟ وترتفع صيحات الإعجاب من كل جانب، وكان الشيخ يسر كثيرا لهذه الصيحات، فقد كان يرحمه الله يعاني مشاكل نفسية رهيبة، ربما كانت راجعة إلى ضالة حظه في الحياة، وكان يحز في نفسه أنه صديق لكل العظماء في عصره، فإذا مات قريب لأحدهم لم يدع الشيخ المنيلوي إلا كصديق، فقد كانت طريقته في الأداء وما فيها من غرابة تبعد بينه وبين إحياء اللبالي الضخمة.

ورغم ذلك فقد ربح الشيخ المنيلوي كثيرا، وتلمذ عليه كثير من مشاهير القراء، منهم الشيخ عبدالعظيم زاهر والشيخ أحمد سليمان السعدني، وكان في حياته يتعصب للشيخ رفعت، ويرفعه فوق كل القراء، وكانت عداوته للشيخ على محمود من أسباب هذا التعصب الشديد.

حدث مرة أن كان الشيخ يوسف يقرأ مع الشيخ رفعت في ليلة واحدة، وعلى غير عادة القراء كان الشيخ المنيلوي يقفز فرحا من فوق الأريكة، كما تلا الشيخ رفعت آية من الآيات، وعندما انتهى الشيخ رفعت كان الشيخ المنيلوي قد انخرط في نوبة حادة من البكاء، ورفض أن يقرأ ليلتها، وأصر على أن يواصل الشيخ رفعت التلاوة حتى الصباح.

وقبل أن يموت اعتزل الشيخ يوسف المنيلوي التلاوة إذ لم تعد صحته تساعد على السهر الطويل، وعاد الصفاء بينه وبين الشيخ على محمود، وكان الشيخ على أول من قرأ في مآتم الشيخ يوسف، وكان أول من شيع جنازته، وكان الشيخ يوسف أول قارئ يقام له حفل تأبين يشترك فيه كل قراء القرآن.. ولم يحتفل بتأبين أحد بعد ذلك إلا الشيخ رفعت.. ثم مضت أعوام طويلة.. ومات الشيخ على محمود والشيخ محمد رفعت.. ونسى الناس الشيخ المنيلوي.. فقد مات دون أن يترك خلفه تسجيلا يذكر الناس بصوته الباكي الحزين الذي وصفه الشيخ البشري فقال:

«كان صوته شجيا فيه حزن، وفيه توجع، وفيه شجن.
واتساءل الآن : لماذا لم نستمع ولو لمرة واحدة في رمضان لصوت
العبقري العظيم الشيخ علي محمود، أعظم من رفع الأذان في تاريخ
الإسلام بعد سيدنا بلال مؤذن الرسول؟
ولماذا لا يذيع التلفزيون فترة نصف ساعة على الأقل من القرآن
الكريم قبل أذان المغرب في رمضان كما جرت العادة من قبل، وبشرط
أن يقدم لنا الأجود والأفضل من الموتى والأحياء على حد السواء، بدلا
من تقديم أصوات تشتم منها رائحة الفلوس المدفوعة ثمننا للوصول
إلى الكاميرا؟ .

وأرجو أن نأخذ المسألة مأخذ الجد هذا العام، فنعهد إلى لجنة
محترمة لاختيار الأصوات التي نقدمها للناس في فترة الفجر، بعد أن
كثر اللغط حول الوسائل المتبعة للوصول إلى إذاعة الفجر في ليالي
رمضان، وهى وسائل تعتمد على تطبيق المثل الشعبى القائل: «الى
يدفع القرش ابنه يزمز» ونفس الشئ ينطبق على منشدى التواشيح،
الذين يقدمون التراتيل والتسابيح في نفس البرنامج التلفزيوني .

وألفت أنظاركم قبل فوات الأوان، إلى المنشد القزم الضريع الذى
يصلح مهرجا في سيرك، أو يصلح منشدا خلف ميكروفون الإذاعة،
ولكن ليس أمام عدسات التلفزيون، لأن في منظره وطريقة أدائه
مايمس هذه المهنة العظيمة، التى احترفها يوما ما العبقري الشيخ علي
محمود والعبقري الشيخ زكريا أحمد والمنشد الكبير الشيخ طه
القشنى والشيخ الفيومى والشيخ الطوخى والشيخ عبدالسميع
بيومى والشيخ النقشبندى والشيخ محمد عمران.

أما قصة الشيخ عمران فهى مأساة بكل المقاييس، فلم يظهر منذ
فترة طويلة في مجال التواشيح الدينية والمدائح النبوية صوت على هذا
المستوى ولا موهبة من هذا الطراز، كان الشيخ محمد عمران أحد

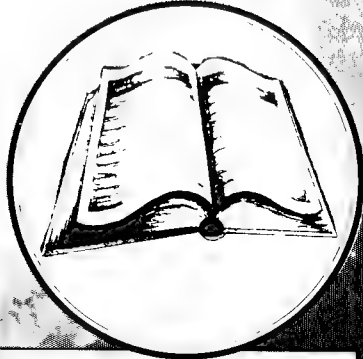
تساثرين على درب الشيخ علي محمود وأحد الذين جددوا شباب هذا
الكار بعد أن تدهرج عدة درجات على يد الشيخ نصر الدين طوبار
: مدرسته، والتي أعادت فن التواشيح إلى حلقة الدراويش والمجاذيب.
ومع ذلك لم نشعر كثيرا بوجود الشيخ محمد عمران بيننا، لأنه كان
سلعة جيدة، ظهرت في سوق المناخ حيث الشركات كلها مضمومة
والأسهم كلها مطعون فيها، وحيث عملية البيع والشراء هى عملية
خداع لا أكثر ولا أقل ، وشيلينى وأشليك ، وترعانى بسهم
أراعيك سهمين.

لم يظهر الشيخ عمران في رمضان الماضى سوى مرة واحدة،
بينما استعانوا بالشيخ القزم ثلاث مرات، ويبدو أنه كريم وسخى
وأهدى فرطة ومن النوع الذى يحب الخير لنفسه وللآخرين!

المأساة أننى سمعت بوفاة الشيخ عمران بعد وفاته بعدة أشهر،
والغريب أننى سألت أصدق أصدقائه - جلال معوض - عن نأب وفاة
الشيخ، فأبدى دهشة شديدة، لأنه لم يقرأ نأب وفاته في أى مكان،
ولاجريدة مصرية اهتمت بنشر الخبر. حتى التلفزيون الذى يحرص
دائما على إذاعة نأب وفاة سنوية بجبح أو على شقوير، لم يهتم بالتنويه
عن وفاة الشيخ في أحد برامجها الدينية، وما أكثرها هذه الأيام، وبعد
ذلك يتساءل البعض عن السر في عدم ظهور أصوات جديدة واعدة..
إنها الفوضى الموجودة على الساحة، وعدم وجود الميزان الذى يزن
الأمر بالعدل، فقارئ مثل الطبلاوى مثلا لا يظهر في التلفزيون إلا
مرة كل عام. بينما يظهر القارئ القلتاوى مرة كل يوم. والسبب أن
الطبلاوى صاحب صوت جميل وطريقة جديدة في الأداء، ولكنه عديم
المفهومية ولا يؤمن بمبدأ يابخت من نفع واستنفع.

وهناك احتمال آخر هو أن يكون المشرف على عملية اختيار
الأصوات في أجهزة الإعلام من النوع الذى لا يفرق بين صوت
الكروان وصوت الغراب .

أحسان السماء



العبرة
الأول
والعبرة
الأخير

كما أن أذواق الناس اختلفت الآن ، فلم يعد أحد يفرق بين صوت الشيخ همام وصوت الشيخ علام ، وأصبح أحمد مثل الحاج أحمد !.

ولذلك انقطعت الصلة بين يومنا هذا وتلك الأيام القديمة العظيمة الطيبة، الأيام التي تردد في أجوائها أصوات الشيخ أحمد ندا والشيخ على محمود والشيخ القهاوى والشيخ الفيشاوى والشيخ أحمد سليمان السعدنى والشيخ محمد رفعت والشيخ الشعشاعى والشيخ محمد سلامة والشيخ عبدالعظيم زاهر والشيخ شعيشع والشيخ منصور ندا والشيخ محمد الصيفى، وأخيرا الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبدالباسط عبدالصمد رحمة الله عليهم جميعا، ونسأله سبحانه وتعالى أن يرحم أسماعنا من أصوات الشيخ منقار والشيخ ملقاط والشيخ حلبص والشيخ بحبح، وكل المشايخ في هذا العصر الزاهر الميمون، عصر عايشة الوعد وسميرة سعيد وأصالة ولطيفة وانوشكا والمطربة سيمون !

قبل ظهور الشيخ أحمد ندا كانت قراءة القرآن
هى مهنة من لاميته لهم.. شخص حفظ بعض آيات
القرآن باجتهاده الشخصى أو عن طريق الكتاتيب
التي كانت منتشرة فى تلك الأيام، أو طالب لم يوفق
فى دراسته فى المرحلة الابتدائية.. أو رجل أعمى لم
يجد وسيلة للرزق إلا قراءة بعض الآيات فى مقابر
الفقراء.

وكان الأجر عشوة فى الغالب، وأحيانا قرش
صاغ، ولكن هذا القرش صاغ كان يكفى لإعاشة
شخص لمدة يوم كامل، وكان إلى جانب هؤلاء بعض
المشايع الذين ينشدون التواشيح، وكانوا معروفين
عند العامة بأولاد الليل، وكان عملهم مقصورا على
إنشاد بعض القصائد القديمة، وكان أشهرها على
الإطلاق (إذا جاء يوم العرض والعرش واللقا)،
وكانت أصوات المنشدين فى هذه الفرق تشبه
الصوت الناتج عن خشب يحترق، أو الصوت الذى
يحدثه احتكاك عجلات قطار بالقضبان عند أحد

المنحنيات، ولم يكن لهذه الفئة أجر معلوم، ولكن الأمر كان يتوقف على شهامة صاحب الدار.

وفجأة ظهر شيخ أسمر اللون، نحيف العود. وسيم القسما، يقرأ القرآن بشكل جميل وبطريقة مبتكرة، طريقة تجبر السامعين على الجلوس في أماكنهم ساعات طويلة، وكما أثر الصوت الجديد على عقول ومشاعر المستمعين، فقد أحدث ثورة عارمة بين بعض المشايخ، وكان محور الثورة الذى يدور حوله النقاش والخلاف هو: هل الطريقة المبتكرة في التلاوة، وبهذا الصوت الجميل، حلال أم حرام؟!

وترك الشيخ أحمد ندا أصحاب السؤال يتناقشون، ومضى في طريقه يحقق كل يوم انتصارا باهرا، ويجمع في كل يوم المزيد من المريدين والأنصار! وهكذا قلب الشيخ العبقري أحمد ندا الموازين كلها ووصل أجره إلى خمسة جنيهات عن الليلة الواحدة، وجاب أقاليم مصر كلها يسهر في قصور البشوات ودور العمد والأعيان، ويهرع لسماعه الألوف الذين يعجبون بصوته، ومرة أخرى ارتفع أجر الشيخ إلى عشرة ثم إلى عشرين ثم إلى أربعين جنيها.

وظل يرتفع أجره بعد ذلك إلى أن بلغ مائة جنيه عن الليلة الواحدة، وأصبح للشيخ ندا حظور تجره ستة خيول، وقصر يؤمه الشعراء والأدباء ورجال الحكم والسياسة، وأصبحت ندوة الشيخ أحمد ندا هى الشعلة الوحيدة المضيئة وسط الظلام الرهيب الذى كان يومئذ يخيم على مصر.

ولم يدرك الشيخ ندا أنه بمسلكه هذا يشعل النار في قلب الخديو الجالس على العرش، فكيف يجرؤ رجل مصرى من طبقة فقيرة ومعهم على الظهور في موكب ولاموكب الخديوى، ولأن الهيافة ليس لها حدود، فقد اصدر الخديو (فرمانا) بأن يكتفى

لشيخ أحمد ندا بزواج واحد من الخيول يجر عربته الفيتون، وتتصدر العربّة والأحصنة إذا أصر الشيخ على الظهور في نفس الموكب، وأثر الشيخ أحمد ندا أن يتحاشى حماقة الخديو فاكتفى بحصانين اثنين لجر عربته، ولكن بقدر نقص أحصنته ازدادت شعبيته، وصار واحدا من أعلام مصر الخفاقة، ونجما من نجوم المجتمع المصرى الذى يتردد على صالونه زبدة أهل مصر، ويقف على بابيه أصحاب الحاجات، وكان الرجل كريما ينفق على سعة، ويوزع النفحات والصدقات، وكان أجره قد وصل إلى مائة جنيه ذهبا عن كل ليلة، وكان يطول له أحيانا نثر الجنيئات الذهبية تحت أقدام أحفاده.

كان الشيخ أحمد ندا من أوائل الذين التفتوا إلى موهبة ست الكل أم كلثوم، كان يطرب لصوتها ويقبل على سماعها في أى وقت، وكانت هى الأخرى تحب سماعه وتطرب لطريقته الفذة في الأداء، وقد أحييت أم كلثوم حفل زواج ابنة محمود ندا، ورفضت أن تتقاضى أى أجر، ولسوء الحظ أن الشيخ أحمد ندا رفض بشدة تسجيل القرآن على اسطوانات لايلىق أن تحمل كلام الله، لأن الناس تتداولها وتحملها بأيدٍ قذرة وتلقى بها أحيانا على الأرض.. ولوسجل الشيخ بصوته العظيم بعض سور القرآن الكريم لكسبنا الآن ثروة فنية عظيمة بلاجدال - رحمه الله عليه - .

هذا الفتى الأسمر النحيل الوسيم الذى كان أول نجم يتلأل في دولة التلاوة في عصرنا الحديث، ابن حارة التلول الذى خرج من معطفه كل النجوم الزاهرة التى أضاءت دولة التلاوة بنورها، وللعلم ان الشيخ أحمد ندا هو جد الفنانة شريفة فاضل والفنانة سناء ندا.

وإذا كنا قد تعرضنا لنجوم دولة التلاوة الذين ظهروا في نهاية

القرن الماضى وعلى طول القرن العشرين.. فيجدد بنا أن نفتح ملف حضرات أصحاب الفضيلة مشايخ هذا الزمان الذين يحترفون التلاوة، وبعضهم يتقاضى في ليلة واحدة أضعاف ما حصل عليه العبقري محمد رفعت في حياته كلها، ومع ذلك فليس بين الموجودين الآن إلا قارئ واحد تستطيع أن تضعه في مصاف العباقر، وإلى جانبه يوجد بعض الموهوبين، ثم لاشئ بعد ذلك سوى أصوات نحاسية وطرق أداء من نوع الهرديكش ثم مقلدين، والتقليد هو نوع من التزييف.

وهؤلاء المزيفون لا يقل ضررهم عن ضرر اللحمة الفاسدة المستوردة، أو ضرر الشائى المخلوط ببرادة الحديد، العبقري الوحيد الموجود على الساحة الآن هو الشيخ محمود الطبلاوى، وهى عبقرية لا دخل له فيها لأن الصوت موهبة من عند الله، وقد وهبه الله أحيالا صوتية ليس لها نظير، وصفها العبقري محمد عبدالوهاب بأنها معجزة، لأنها تؤدى النغمة المستحيلة، وقد سبق للعبدة نشر هذا الكلام وعلى أوسع نطاق في حياة العبقري الراحل عبدالوهاب، وعبدالوهاب سميع قرآن نادر المثال، وعندما يقول عبدالوهاب مثل هذا الكلام فلا بد أن نصدقه.

ولكن لأن الشيخ الطبلاوى ليس فيه كرم أحمد ندا، ولا تقوى الشيخ رفعت، ولا طيبة مصطفى إسماعيل، ولا كياسة الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، لذلك حاربه الجميع، وعقدوا حلفا ضده.

هل تصدقون أن أعظم قارئ، يعيش بيننا اليوم، موجود احتياطى في التصنيف الذى وضعه عباقر التليفزيون المصرى؟!

إن هؤلاء القتلة اشبه بمدرّب كورة حمار أو صاحب غرض يضع محمود الخطيب على الدكة احتياطى ويضع على رأس التشكيل الكابتن حكشة والكابتن أبوسريع!! لأن الكابتن حكشة

إيده فرطة ، ولأن الكابتن حكشة اللي في جيبه مش له!!

هل تعلمون أن التليفزيون لا ينقل صلاة الجمعة من جامع الأزهر بسبب وجود الشيخ الطبلاوى قارئ السورة.. تصوروا!! إنها مأساة صدقونى أن يترك مثل هذا الأمر لبعض الجهلة أو بعض الأدعياء، فيحجبوا عنا أصحاب الأصوات الندية ويسلطوا علينا أصحاب الأصوات الخشبية، لالسبب إلا لسبب واحد.. الى مامعوهش مايلزموش!!

والشيخ الطبلاوى بدأ حياته موظفا في شركة ماتوسيان للدخان بالجيزة، وكانت وظيفته هى قراءة القرآن ورفع الأذان في مسجد الشركة، وسرعان ما اشتهر أمره في ربوع محافظة الجيزة، ولكنه لم يحقق الشهرة التى يستحقها لأنه عجز عن الوصول إلى أجهزة الاعلام، لأن الطريق إليها غير سالكة وغير مأمونة، وتحتاج إلى بهلوانات تجيد عملية القفز واللف والدوران، وهى أشياء لا يجيدها الشيخ الطبلاوى.

كان السبب في شهرته تلك التسجيلات التى سجلتها له شركة منتصر، والتى كان يتولى الاشراف الفنى عليها المرحوم الفنان مأمون الشناوى، والذى صرخ عند سماعه صوت الشيخ: هذا الشيخ سيكون هو قارئ الزمن الآتى!! وأدت هذه الأسطوانات إلى انفجار شهرة الشيخ كالبركان، وكانت السبب في وصوله إلى أجهزة الاعلام في مصر وخارجها.

وأذكر اننى لم أستمع إليه في مصر في بداية أمره، والذى لفت نظري إليه هو الأستاذ الشاعر العراقى الكبير حميد سعيد الذى طلبنى ليعرف رأى في صوته. ولما أبديت جهلى به اندهش كثيرا، وقال معلقا: عندما اسمعه انفجر باكيا، وأضاف: إن صوته يحمل هموم وأحزان كل العرب القدامى والمحدثين، وبعدها قررت أن

أمان السماء



مأساة
الشيخ
عنتر

أستمع إليه، وجاءنى صوته فى الصباح الباكر عبر إذاعة الكويت، ولم أبك كما فعل حميد سعيد، ولكنى تأكدت أن مصر ولادة، وأنها رغم المحنة وغدر الزمان قادرة على العطاء.

هذا صوت يذكرك بالعباقر الأوائل، منصور بدار، وعلى محمود، ومحمد رفعت، والشعشاعى، ومصطفى إسماعيل، وعبدالباسط عبدالصمد، إنه حبة من السبحة العظيمة، وهو لمبة فى الثريا البهية التى تجمع كل هؤلاء، ويألف خسارة لأن العد التنازلى بدأ بالنسبة له فهو الآن فى الثانية والستين ومرض السكر بدأ يداعبه، ولكنه بالرغم من ذلك لا يزال الأوحد فى دنيا التلاوة، ونرجو أن يتدخل رئيس الوزراء لدى عباقر التلفزيون لعلهم يفككون الحصار الذى ضربوه حول الشيخ على أساس أن الصوت النادر ملكية عامة ومشاع لكل المصريين، ومن يحجبه عنهم يكون قد أتى أمرا من شأنه الاضرار بمجموع الشعب المصرى. ويستحق العقاب الشديد!!

إذا كان صوت الشيخ الطبلاوى هو الصوت العبقري الوحيد في دولة التلاوة، هناك أصوات كثيرة موهوبة في مقدمتها صوت الشيخ مصطفى غلوش. ولقد أخطأ الشيخ غلوش في بداية حياته عندما نقل طريقة الشيخ مصطفى إسماعيل نقل معطرة، وبالطبع كان الميزان في صالح الشيخ مصطفى إسماعيل، ثم أدرك الشيخ غلوش بعد سنوات طويلة أنه أخطأ الطريق، ولكنه نجح في الانفصال عن جاذبية الشيخ مصطفى إسماعيل، وأصبح له مدار خاص به، فصار واحدا من القراء الذين يشار إليهم بالبنان في بلاط دولة التلاوة.

ولعل الشيخ مصطفى إسماعيل هو القارئ العبقري الوحيد الذى قلده ٩٠٪ من قراء القرآن الكريم الذين جاءوا من بعده، والسبب أنه الوحيد أيضا الذى يؤدى السهل الممتنع، شأنه في ذلك شأن بيرم التونسي فى الشعر العامى، وشأن سيد درويش فى الموسيقى، وشأن محمد التابعى فى الكتابة الصحفية.

وإذا كان التقليد مغفورا للموهومين من أشباه الفنانين، فهو أمر لا يغتفر بالنسبة لأصحاب المواهب، ولاشك أن الشيخ غلوش واحد منهم! ويأتى بعد الشيخ غلوش الشيخ أحمد الزريقى، ويتمتع

بصوت موهوب وله شخصية، ولكنه للأسف الشديد ارتكب نفس الخطأ الذى وقع فيه الشيخ غلوش، فقد بدأ حياته بالسير على طريق الشيخ محمد صديق المنشاوى، وبالرغم من أن التقليد كان واضحا ومعنيا إلا أن الشيخ عبدالباسط عبدالصمد تحمس له كثيرا، ورشح كأكظم قارئ بعد جيل العمالقة، ولم يكن هذا صحيحا على الإطلاق، ولكنه كان موقفا تكتيكيا من الشيخ عبدالباسط عبدالصمد فرضته ظروف المنافسة وقواعد السوق.

وكما حدث فى عالم الأدب عندما رشح الدكتور يوسف إدريس الكاتب أحمد برعى خليفة له فى مجال القصة القصيرة، وكما رشح حسين شفيق المصرى الزجال أبوبثينة أميرا للزجالين، مع أن بيرم التونسي كان حيا يرزق. ولكنه كان منفيا خارج مصر ومطاردا كالكلب المسعور، ولكنه الخوف. أحيانا والاسترزاق أحيانا، والطمع أغلب الأحيان. ولم يلمع الشيخ الرزىقى إلا بعد أن تمكن من الافلات خارج المجال الجوى للشيخ محمد صديق المنشاوى وصارت له طريقته المستقلة، التى يتبعها فى الوقت الحاضر.

ويأتى بعد هؤلاء الشيخ على حجاج السويسى، والشيخ عبدالعاطى ناصف، وإن كنت لم أسمع الشيخ السويسى إلا منذ سنوات قليلة مع أنه تجاوز السبعين من عمره المديد، وهى مسألة غريبة للغاية، ولا أعرف السر فى احتجاب الشيخ كل هذا الوقت الذى مضى، ولكنه دليل على أن المواهب الجيدة قد تختفى فى ظلال العبقريات العظيمة.

هناك أيضا من الجيل الصاعد قارئ شاب اسمه السروجى على ما أعتقد وهو من منيا القمح، وقد استمعت إليه فى ذكرى المرحوم وجيه أباطة، وفى اعتقادى أنه يستطيع أن يشق طريقه إلى الصفوف الأمامية لو ابتعد عن الصياح الشديد، ولو تدرج بصوته من

القرار إلى الجواب إلى جواب الـ «مدرسة» لأن الملاحظ أنه يبدأ وينتهى فى طبقة واحدة وهى جواب الجواب، وهناك مئات من القراء على الساحة اليوم، واللهم للأسف الشديد من طبقة «أحمد زى الحاج أحمد» ولا أمل لأحد منهم على أحد منهم إلا بالتقوى!

ولكن المأساة الحقيقية فى هذا العصر هى مأساة الشيخ مسلم عنتر، فهو صاحب صوت جميل للغاية، وله طريقة فذة فى الأداء، واستطاع أن يفرض نفسه بموهبته على إذاعات العالم الإسلامى والعالم العربى، وكان صوته مادة ثابتة فى برامج الإذاعة الإيرانية. وبالرغم من أن الشيخ عنتر نشأ وترعرع فى مدينة شيخ العوب السيد البدوى، وهى المدينة التى خرج منها الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ محمد مجد والشيخ شفيق أبو شهبه وعشرات آخرون من الموهوبين. إلا أن الشيخ مسلم عنتر كان أشبه بنبذة غريبة، واستطاع بموهبته وحدها أن ينمو دون دراسة ودون معرفة بعلم القراءات، ودون أن يتدرب على يد شيخ يلقنه أصول القراءة، كان صوته هو سلاحه الوحيد فى المعركة، وهو سلاح فعال بلا أدنى شك، ولكن الشيخ صاحب الصوت الجميل كان مجردا من التروس والدروع، وهى أدوات ضرورية إذا أراد المقاتل أن يواصل المعركة حتى النهاية.

هنا كانت مأساة الشيخ الذى تصور أن القراءة عملية اجتهادية لا تحتاج إلى ضوابط، وبالتأكيد لم يكن الشيخ مسلم عنتر يدرك أن دراسة علم القراءات ضرورية للقارئ..

وربما عرف من بعض محبيه أن رفعت كان يقرأ بالقراءات السبع، وأن القراءات السبع تعنى أن يقرأ الآية الواحدة سبع مرات، كل مرة بطريقة مختلفة، لم يعرف الشيخ أن علم القراءات

يسمح للقارىء بالتصرف، ولكن في حدود مفروضة، ولا يمكن تجاوزها أو الخروج عنها، منها - مثلاً - أن القارىء يستطيع قراءة الفاتحة على النحو الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . (مالك) يوم الدين.

وباستطاعته أيضاً أن يقرأها على النحو التالي: بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم (ملك) يوم الدين. وعلى نفس الطريقة يمكن قراءة (الأرض) ويمكن قراءتها على نحو مختلف، على النحو التالي: « ولئُض » ولن عقبى (الدار) يمكن أن تتحول إلى: ولن عقبى (الدير)، ولكن الشيخ مسلم عنتر تصور أن القارىء حر التصرف يستطيع أن يقول ما يريد وقت أن يشاء وبالطريقة التي تروق له.

استمعت إليه مرة يقرأ بصوت جميل للغاية هذه الآية: ﴿إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً﴾ ونطق (إبراهيم) مرة نطقاً سليماً. ﴿إبراهيم﴾ ثم أعادها ﴿إبراهيم﴾ ثم أعادها ﴿إبراهيم﴾ ثم أعادها ﴿برهوم﴾. وهى قراءة خطأ بالطبع وليس لها أية علاقة بعلم القراءات.

ولم يستمع العبد لله إلى صوت الشيخ إلا عند تواجدى خارج مصر في زمن الشتات والضياغ، وعندما عدت إلى مصر اكتشفت أن الشيخ منع من القراءة وبقرار من الأزهر، وبالطبع كان الأزهر على حق.

ولكن العبد لله كان يتمنى لو كان قرار الأزهر تبعه قرار آخر بالعمل على تدريب الشيخ وتأهيله على يد أستاذ كبير تمهيدا لعودته مرة أخرى إلى ساحة التلاوة.. ولكن الأزهر - للأسف الشديد - منع الشيخ من القراءة ولم يحاول أن يبدله أو يساعده على سلوك الطريق المستقيم.. مع أن أشرطة الشيخ مسلم عنتر

كانت تنافس أشرطة أحمد عدوية وحسن الأسمر في ريف مصر وفي أحيائها الشعبية، كان يمكن أن ندسب قارنا عظيماً وصاحب موهبة فذة، ولكننا لم نفعل ذلك ولم نحاول، واذكر أنني قمت بمحاولة وأرسلت إليه للحضور إلى القاهرة أو السماح للعبد لله بلقائه في طنطا، ولكن مرت عشر سنوات طويلة ولم ألتق منه جواباً حتى الآن، ويبدو أن الضربة كانت شديدة على الشيخ فلم يحتلمها، ويبدو أنه أثر الاختفاء بعيداً عن الأنظار مؤمناً بأن ماجرى له هو قضاء لله وقدره، ولعله لم يدرك حتى الآن أنه هو نفسه السبب في كل ما حل به!

وإذا كننا لم نتناول سيرة الشيخ أبو العينين شعيشع مع مجموعة المشايخ الذين يمارسون المهنة الآن، فالسبب أننا ذكرناه من قبل مع جيل العمالة الذين ظهروا في بدايات القرن، ولأن الشيخ شعيشع - مد الله في عمره - كان زميلاً للشيخ الشعشاى والشيخ منصور الشامى الدمنهورى والشيخ محمود على البنا، وظهر قبل الشيخ عبدالباسط عبدالصمد والشيخ محمد صديق المنشاوى، ولأن السن لها أحكام، فالشيخ شعيشع لا يمكن أن يخضع للمقارنة مع من يمارسون المهنة اليوم.

هناك أيضاً بعض الخرافات التي يرددها بعض المتحمسين أو بعض الهواة من المستمعين، والعبد لله يتلقى بين الحين والآخر خطابات من الرقازيق وطنطا وبنى سويف والمنيا وشبين الكوم والاسكندرية والمنصورة وبورسعيد، خطابات يرسلها بعض المستمعين الطيبين وكل منهم يقسم بأغلظ الأيمان أنه يوجد بمدينته قارئ (مظلوم) لو واثته الفرصة فسيصبح خليفة للشيخ محمد رفعت أو الشيخ مصطفى إسماعيل، وهذه الخطابات التي أتلقها هي غالباً من أقرباء الشيخ (المظلوم) أو من أصدقائه، أو من بعض أصحاب النوايا الطيبة الذين لا يفرقون بين صوت الشيخ

محمد رفعت وصوت العبد لله والذين ينطبق عليهم المثل القائل «كله عند العرب صابون» وأقول لهؤلاء جميعاً: كان يمكن أن تموت موهبة عظيمة لو ظهرت في بداية القرن وحتى منتصفه. ولكن ومنذ السبعينيات من هذا القرن لم تعد هناك حجة لصاحب موهبة في عدم الظهور.

فقد كانت المنطقة العربية كلها وعلى امتداد رقعتها ليس فيها صوت مسموع إلا صوت إذاعة القاهرة، وصوت إذاعة الشرق الأدنى من حيفا، وصوت الإذاعة البريطانية في لندن.

وكانت الإذاعة المصرية يعلو صوتها في فترات قليلة من اليوم.. فترة صباحية ثم فترة بعد الظهر، ثم فترة مسائية وينتهي الإرسال في الحادية عشرة مساءً.

وكانت الإذاعة تبدأ برامجها بالقرآن الكريم وتختتمها بالقرآن الكريم، بالإضافة إلى فترة مدتها نصف ساعة، من الساعة الثامنة إلى الثامنة والنصف مساءً كل يوم. أما الآن فحدث ولا حرج.. إذاعة رأس الخيمة وإذاعة أم القيوين وإذاعة الفجيرة وإذاعة الشارقة وإذاعة دبي وإذاعة أبو ظبي.. ست إذاعات رئيسية في دولة الإمارات بعضها له عشر شبكات، وإذاعة عمان في دولة مسقط وإذاعة الدوحة من قطر وإذاعة البحرين وإذاعة الكويت. وفي السعودية شبكة إذاعية تغطي الكرة الأرضية كلها.

وفي العراق إذاعة بغداد وإذاعة صوت الجماهير الموجهة للعالم العربي.

وفي سوريا نفس الشيء.. وفي لبنان إذاعة رسمية وعشرون إذاعة أهلية.. وفي الأردن شبكة إذاعية قوية وإذاعة فلسطين بالإضافة إلى عشرات الموجات من القاهرة.. بالإضافة إلى الإذاعة المتخصصة وهي إذاعة القرآن الكريم.

ثم أذهب إلى المغرب العربي لتجد إذاعة ليبيا وإذاعة البحر

الأبيض وإذاعة صوت الشعب والإذاعة العربية من مالطا، وقل نفس الشيء عن تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا. هذا عدا اليمن والسودان وإريتريا وجزر القمر والصومال، ثم عندك بعد ذلك إذاعات العالم الإسلامي، من أندونيسيا إلى البوسنة وجمهورية الاتحاد السوفيتي السابق، ثم خذ عندك بعد ذلك البرنامج العربي في الإذاعة البريطانية وإذاعة مونت كارلو، وإذاعة الشرق من باريس أيضاً، والإذاعة العربية في هولندا، وخمس إذاعات عربية في الولايات المتحدة، وعشر إذاعات عربية في أمريكا اللاتينية. وإذاعة عربية قوية في استراليا.

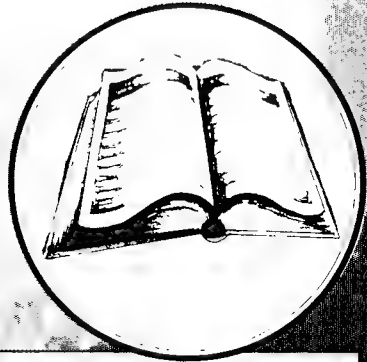
وأستطيع أن أعدد لك مائة إذاعة أخرى منها على سبيل المثال الإذاعة العربية من كالادونيا وهي جزيرة وسط المحيط الهادئ، نفى إليها الثوار الجزائريون بعد اجتياح فرنسا للجزائر.

بالإضافة إلى محطات التلفزيون التي بلغت ١٠٠ محطة في العالم العربي منها ٦ محطات في دبي وحدها وفي أبو ظبي ومحطة تلفزيون قوية في الشارقة، ثم هناك محطات الفضائية من أول محطات الشيخ صالح كامل إلى محطات الشيخ عبده كامل ومحطات الشيخ أحمد كامل إلى آخر عائلة كامل التي سيطرت على الموجات الفضائية، وهي الأخرى تذيع القرآن الكريم أحياناً وتستعين بأصوات تحتاج إلى بلاغ للشرطة لكي تنقذ المشاهدين من أصواتهم التي تشبه صوت ساقية خربانة.

ولك — عزيزي القارئ — أن تحسب كم عدد القراء اللازمين لملء كل هذه الساعات من الإرسال في الإذاعة والتلفزيون. لا أقول كم عدد الأصوات الموهوبة التي تحتاجها كل هذه الموجات والشبكات في الكرة الأرضية؟

ولكني أقول كم عدد الأصوات نصف الموهوبة أو حتى ربع

أمان السماء



التفاح
والتين
الشوكى !

الموهوبة أو حتى خمس الموهوبة التى نحتاجها في الوقت الحاضر؟
العبد لله تعرف على نصاب مصرى ظريف نصب نفسه رئيسا
للفلاحين بالعراق، ثم افتتح لنفسه محلا للجزارة وفرض إتاوات
على الفلاحين المصريين هناك، ولما طرده العراقيون هناك نتيجة
الشكاوى المتعددة في حقه اضطر إلى النزوح إلى الكويت، وبعد فترة
شاهدته على شاشة التلفزيون الكويتي يؤدي التواشيح الدينية
ويرتدى زى المشايخ ويغطي قبح صوته وعدم إلمامه بأبسط قواعد
هذا الفن بالبكاء الشديد.

وأغرب شيء هو أن بعض المسنين من أهل الكويت كانوا
يكون معه ظنا منهم أنه يبكي من شدة الورع والتقوى!
وإذا كان النصاب الظريف قد وصل إلى أحد أجهزة التلفزيون
فهل يمكن أن تكون موهبة عظيمة موجودة بيننا ثم لايسمح لها
بالظهور؟

العبد لله يقول لأى طيب أو ساذج أو موهوم: دلنى على واحد
شبه موهوب، وأنا أضمن له الشهرة والمجد والرزق الحلال الوفير،
هذه هي الحقيقة.. أيها السادة: لقد أصاب البوار حقل المواهب في
هذا المجال الذى كان خصبا في الماضي وكنا نشكو من وفرة
إنتاجه، ثم أصبحنا نشكو الآن من خرابه، ومن انتشار اليوم
والغربان.

ونسأل الله الستر والصبر والقدرة على احتمال بعض الأصوات
التي تفرض علينا الآن لأسباب بعضها مجهول وبعضها معروف
للجميع.
واللهم عفوك ورضاك يارب.

في هذا الفصل نذكر المشايخ الذين رتلوا كتاب الله في العصر الحديث ، من أول الشيخ أحمد ندا، إلى الشيخ فؤاد محجوب ، آخر طبقة ظهرت في دولة التلاوة، وإذا كنا قد تعرضنا للعباقره والموهوبين، فسيكون حديثنا هنا عن المقلدين، وعندما يغيب العباقره والموهوبون ، يحتل المقلدون مكان الصدارة، وأبرز مثال على هؤلاء الدكتور نعينع، إنه صورة طبق الأصل من الشيخ مصطفى اسماعيل، ولكن ما أبعد الفرق بين الصورة والأصل.

وإذا كان صوت مصطفى اسماعيل من معدن الذهب الرنان، فصوت الشيخ نعينع من معدن الألومنيوم، ولكن بسبب غياب العباقره - وعدم وجود سمعية من بتوع زمان - احتل الدكتور نعينع مكان الصدارة، وأصبح القارئ الرسمي للدولة ، مع أنه يأتي في الترتيب بعد عشرات من الأحياء، فالشيخ محمد بدر حسين يفضلته بالتأكيد، ولكن لأنه الدكتور ولأنه يرتدى البدة أصبح أثرا لدى المصالح الحكومية، على أساس أن لقب الدكتور أصبح في الزمن الحاضر زينة.. ويخلق ما لاتعلمون، وعلى الرغم من التكريم الحكومي والحفاوة الرسمية، إلا أنك ستجهد نفسك لاكتشاف شخصية القارئ إذا فتحت الراديو فجأة وكان الدكتور نعينع هو

القارئ فستظن في البداية أنك تستمع إلى الشيخ مصطفى اسماعيل، وفي الآية التالية سيخيل إليك أنك تستمع إلى الشيخ طه الفشنى، ولن تستطيع اكتشاف الاسم الحقيقى إلا إذا انتهت التلاوة وأعلن المذيع اسم القارئ.

والسبب أن التقليد لا يضع بصمة ولا يترك أثرا، ولذلك سيدوخ دوخة الأرملة كل من يحاول أن يميز الفروق بين فلان وفلان من السادة الذين يحترفون التلاوة هذه الأيام، لأن كل الأصوات الجديدة نسخ مكررة، وأصحابها مقلدون وليس لهم سكك مختلفة، ولكنهم جاءوا جميعا من طريق واحد وساروا على درب واحد.

وزمان... كان لكل صوت سمة خاصة وملامح مميزة، وكل قارئ كان له لون وله طعم، وكانوا مثل الأشجار المثمرة في جنة فواكه، فإذا كان صوت الشيخ محمد رفعت هو التفاح، فالشيخ مصطفى اسماعيل هو العنب البناتى، والشيخ عبدالفتاح الشعشاعى هو الرمان، والشيخ عبدالباسط عبدالصمد هو الخوخ، والشيخ الحصرى هو الجوافة، والشيخ المنشاوى هو البلح الزغلول، والشيخ عبدالعظيم زاهر هو الكمثرى، والشيخ محمود على البنا هو البطيخ الشلين، والشيخ محمد صديق المنشاوى هو التين البرشومى، والشيخ محمود عبدالحكم هو الموز المغربى.

تعالوا الآن نتشمم رائحة الموجودين على الساحة، فسنجد أنهم جميعا لهم رائحة النبق والدوم والجميز والتين الشوكى، بعضهم بدأ بداية طيبة مثل الشيخ عبدالواحد زكى، ثم أصابته العدوى فأصبح كالأخرين، وسار على درب الشيخ هاشم هيبه، وهو اختيار غريب للغاية، لأن الشيخ هاشم هيبه نفسه ليس من الطبقة الأولى في دولة القراء، ولأن التقليد صار هو الأصل الآن، فستجد

أن دولة التلاوة انقسمت إلى ثلاث فرق، إلى عشرة. هناك عشرة قراء على الأقل يقلدون الشيخ عبدالباسط اسماعيل، فؤاد محجوب والقارئ نجيب شحاذة والشيخ أسامة أبو النور والقارئ شريف محمد والقارئ عبدالباقى دار.

وهناك عشرة قراء، على الأقل بقا، دون الشيخ محمد صديق المنشاوى، أشهرهم هو د. صلاح شمس الدين ومحمود أبو الوفا الصعدي، وهناك أكثر من عشرة قراء يقلدون الشيخ مصطفى اسماعيل، أشهرهم طبعاً الدكتور نعينع والشيخ فتحى المليجى، وهناك الكثيرون يقلدون الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، أشهرهم الشيخ محمد البحرى، وهناك الشيخ صلاح يوسف الذى يقلد الشيخ عبدالعزيز على فرج، وهناك المبتهل الشاب الشيخ البساتينى الذى يحاول السير على طريق الشيخ النقشبندى.

وكنت أتمنى أن يمنحنى الله القوة والصحة لكى انتبع واتعقب كل السادة الذين يحترفون هذه المهنة في الوقت الحاضر، ولكنى اكتشفت أننى لا أستطيع القيام بهذه المهمة بعد أن وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا، ولم تعد أعصابى تحتمل كل هذه الأصوات النحاسية التى أصابت أذنى الوسطى، فصرت أترنح أحيانا وأسقط على الأرض أحيانا كلما استمعت إلى صوت من هذه الأصوات التى ينطبق عليها ذلك الهاتف الشهير لعمدة الفن المصرى مولانا يوسف بك وهبى، والذي كان يهتف به في المواقف الصعبة وفي الحالات الحرجة، وهو هتاف يا للهول!

وقد يسأل سائل.. وما العمل؟ هل نسكت؟ هل نأيس؟ هل نصبر على ما ابتلنا به الأيام؟ وأجيب.. لا، لانسكت ولانأيس، ولكن هناك حولا كثيرة، أهمها تعديل النظام المعمول به في اختيار الأصوات الجديدة في الإذاعة والتلفزيون، وأول إجراء يجب اتخاذه

هو إلغاء لجنة الاستماع المكونة من فضيلة الشيخ برانق والشيخ حبة وغيرهما، وأن نضم إلى لجنة الاستماع إلى جانب أصحاب الفضيلة المشايخ بعض السادة الذي تثق في حسن استماعهم وفي عدالة أحكامهم. وأرشح لهذه المهمة الشيخ أبو العينين شعيشع، فهو من الرائحة الزكية القديمة، وهو خبير في علوم وفنون القراءات، وهو الذي حكم منذ سنوات بإفلاس دولة التلاوة من الأصوات الجديدة الجميلة. وأرشح أيضا سميعا قديما وعظيما وخبيرا وأستاذًا في فن الموسيقى والألحان والمقامات، وهو الناقد الفني الكبير الأستاذ كمال التجمي والعبد لله واثق من أن أية لجنة تضم مثل هؤلاء الثلاثة ستكون قادرة على اختيار الأفضل والأحسن، وبشرط أن يعرض عليها كل الأصوات التي تذاغ الآن في الإذاعة والتلفزيون.

وهناك اقتراح آخر أرجو أن يبحثه الوزير صفوت الشريف لأنه كفيل برفع مستوى الغناء والموسيقى والإنشاد الديني، وحتى التلاوة. بأن يستثنى شرط سن المعاش بالنسبة لمن يتولى منصب مدير الاستماع في الإذاعة. لأن الأمور أخذت طريقها إلى الانحدار بعد محمد حسن الشجاعى ومحدث عاصم. ولا بد أن نعهد بهذه المهمة إلى خبير حقيقى، وليس إلى موظف حكومى بدرجة مدير، وأرشح لهذه المهمة في الوقت الحاضر المؤرخ والناقد الموسيقى العظيم محمود كامل.

إن مصر تستحق أن تكون موسيقاها أرفع مما هي عليه الآن، وأن تكون فنونها كلها أروع مما هي عليه الآن، وعيب أن ينحدر فن التلاوة عندنا إلى هذا السفح الذى وصل إليه، وعيب أن تلجأ إلى تقليد بعض المدارس الغربية على فننا، عيب أن يلجأ بعض المنشدين وبعض القراء إلى هذا الطريق، فمصر هي التي أنجبت

الشيخ أحمد ندا والشيخ محمد رفعت والشيخ على محمود والشيخ مصطفى اسماعيل والشيخ الشعشاعى والشيخ زاهر والشيخ عبدالباسط عبدالصمد .

وحبذا لو اهتمنا كثيرا بمدارس تحفيظ القرآن الكريم، فهي المنبع الذى يمدنا بالقراء والمبتهلين، لأن هذه المدارس هي التي حلت محل الكتاتيب القديمة، التي كان لها أعظم الفضل في الحفاظ على استمرارية الفن العظيم، فن التلاوة والابتهالات . وفي النهاية ينبغي ألا ننسى سببا آخر في سقوط الفن وانهاره، هو انتشار هذه الشركات التي لا أصل لها ولا فصل، والتي تنتج أشرطة التسجيل، والتي انتشرت كالوباء في سيارات الأجرة، والعبد لله يرى مكافحة هذه التسجيلات والقبض على أصحاب هذه الشركات، التي يمتلكها ويديرها عينات من البشر، أغلبهم بلا صنعة، وليس لهم أدنى صلة بالذوق أو بالفن، والتي أساءت إلى شعب مصر وإلى تراثه المجيد وتاريخه العريق.

وبعد .. أرجو مخلصا أن يكون التوفيق قد حالفنا في عرض وجهة نظرنا، وأن يكون الصواب حليفنا فيما عرضنا عليكم. وأرجو.. إذا كنا قد أسأنا التعبير أن يسامحنا الذين أسأنا إليهم والذين أحسننا إليهم أيضا، إذا نسينا أو أخطأنا، فلم يكن لنا هدف إلا التعبير عما نحسه ونشعر به، ولم يكن لنا هدف إلا النهوض بهذا الفن والعودة به إلى عهده الزاهرة، ولم نفعل سوى الاجتهاد، وفي ديننا الحنيف، وللمجتهد المخطئ أجر وللمجتهد المحسن أجران .. نسأل الله أن نكون من أصحاب الاجرين، ونشكر الله إذا كنا من أصحاب الاجر الواحد!

رسالة:

يحيى عاصم

YAHYA ASSIM

ALVEN PALACE HOTEL

R. JACOB RICHLIN 208

JOINVILLE - S.C.¹

BRAZIL

٧ أكتوبر ١٩٩٥

« الشيخ «محمود السعدنى»

الويل لك ثم الويل لك، وعفا الله عنك. إذ كيف سولت لك نفسك
الأمارة بالحسنى والجمال، ان تتجاهل - وانت الخبير بشئون
التلاوات والتالين وألحان السماء قارئاً عملاقاً لا يضاهيه قارئ في
حلاوة صوته. لا من قبل ولا من بعد، ذلك هو الشيخ الكامل:
كامل يوسف البهيمى.

كيف يجوز لذواقه وسميع مثلك أن تصدر منه هذه الفعلة؟ في
حين أنك تحشر الشعشاعى والحصرى بين العمالقة، وهما ليسا من
العمالقة فى شىء، إلا إذا كانت «العملقة» تعنى ضخامة الجسم أو
صوتا خشنا، وهذا شىء وحلاوة الصوت ولذة الألحان شىء آخر.
وإنقاذاً للموقف الذى وضعت نفسك فيه بتجاهلك الشيخ
البهيمى، ما عليك إلا أن تحدثنا فى مقال قادم عن شيخنا هذا،
أصله ونشأته، إلى أن وافته المنية فى أحد مساجد القاهرة وهو قائم

... إلى ويتلو إلى جانب زميله العملاق الآخر محمد صديق المنشاوي.

«هل انت فاعل ذلك؟»

الشيخ مصطفى اسماعيل والآخرين:

إذا كان لكل من الشيوخ القراء : محمد رفعت، والبهتيمي والمنشاوي وشعيشع وآخرين أسلوبه الخاص، فذلك الأسلوب إنما هو أسلوب واحد لا غير. أسلوب جميل ولكنه أسلوب واحد ووتيرة واحدة.

أما مصطفى اسماعيل فقد كان مجموعة كبيرة من الأساليب، وكان متمكنا من الألحان والأنغام إلى حد لم يضاهه أحد فيه. وكان يتلاعب في الألحان والأنغام كما تتلاعب أنت بالكلمات والجميل في كتاباتك الساحرة الساحرة، وكما كان يفعل أخ لك من قبل اسمه «برنارد شو».

وقد سألت أنا ذات يوم عملاقا آخر في ميدان آخر ذا صلة وثقى بالبحان السماء عن أحسن قارئ فكان جوابه: مصطفى اسماعيل، ومافيش غيره. هذا ما قاله لي محمد عبدالوهاب، مطرب الملوك والأمراء والصعاليك والغلابة.. في كل مكان.

أشيخ أم شيخان ؟

على أن الشيخ مصطفى اسماعيل لم يكن شيخا واحدا كسائر القراء بل كان شيخين اثنين.

أما مصطفى اسماعيل الشيخ الأول فهو الذي نستمع إلى تلاوته في الاذاعات خمس دقائق أحيانا، وثلاثين دقيقة أحيانا أخرى. وهو في هذه التسجيلات المذاعة لا يختلف عن القراء الباقين. فهو قارئ عادي، بل هو في هذا دون البهتيمي وشعيشع والمنشاوي، وهؤلاء جميعا أجمل منه صوتا.

أما الشيخ الثاني، القارئ العملاق، بل عملاق العملاقة فهو مصطفى إسماعيل في الحفلات الدينية التي تقام في القصور والمساجد.. هناك يكون الإبداع.. وهناك تملأ أصوات السامعين والسماعات إكبارا وإجلالا وطربا وخشوعا وذهولا، هناك في هذه الحفلات ينقل شيخنا مصطفى إسماعيل سامعيه من عالم إلى عالم.

هكذا كان مصطفى إسماعيل منذ «رمضانيات» قصر عابدين في دولة «فاروق» وظل كذلك في دولة عبدالناصر ثم في دولة السادات.. إلى أن قضى نحبه في دولة مبارك.

وكنت ذات يوم أزور الشيخ مصطفى إسماعيل في شقته بالزمالك فسألته عن سر الفرق بين التسجيلات المذاعة وبين الحفلات الكبرى ؟ فكان جوابه: في الحفلات الوقت أطول، وفي الحفلات تجاوب بينه وبين جمهور السامعين، بل الجماهير الغفيرة من سامعين وسماعات ليس من المحيط إلى الخليج فحسب.. بل في كل بلد مسلم، إيران وتركيا والباكستان حتى أندونيسيا. ومصطفى إسماعيل بالنسبة لمن عاصروه من القراء كان كبيرهم الذي علمهم السحر، سحر التلاوة والقراءة تجويدا وترتيلا.

وقد حاول الكثيرون أن يقلدوه ولكنهم فشلوا، لأن مصطفى إسماعيل كان في تلاوته - كما قلت أنت بحق - سهلا ممتعا. وحاولت مرة أن أعرف من الشيخ مصطفى عمن يعجبه من المطربين والمطربات، فاكتمى بالقول: واحدة وواحد. أما الواحدة فهي بالطبع «أم كلثوم» وأما الواحد فهو «صالح عبدالحى».

ويبدو لي ولكثير من عشاق التلاوة.. أن الشيخ مصطفى إسماعيل قد تأثر إلى حد كبير في أسلوب تلاوته بـ «صالح عبدالحى» صاحب «الموالات» و«الليالى» والقصائد الشهيرة.. والتي سار على أسلوبه الكثيرون حتى يومنا هذا.

محمود السعدنى والمرأة:

ليس في كتاباتك بإشيقنا يامحمود، مايشير أو يشم منه رائحة عذائك للمرأة .. ولكنك مع ذلك ، وسامحك الله ، تجاهلت السيدة الأولى بل السيدة الوحيدة التى سجلت بصوتها الجميل آيات من «سورة محمد» فكانت أول قارئة مصرية والقارئة الوحيدة التى عرفت أسطوانات تلك الأيام، وكان ذلك في أوائل القرن الحالى.

ألم تسمع بها ياأستاذ محمود؟ وكيف لمثلك ألا يسمع بالشيخة «سكينة حسن» فلماذا إذن لم تتطرق إليها في أحاديثك عن القراء والتالين.. لماذا؟

تجاهلت أجمل صوت بين القراء الذين قضوا نحبهم والذين هم ينتظرون، ذلك هو صوت البهيمى.

ثم تجاهلت القارئة الأولى والقارئة الوحيدة «شيخة سكينة حسن» فهل لك الآن أن تحدثنا عنها، كما ستحدثنا عن كامل يوسف البهيمى وإن اتسع لك المقام والمقال فحدثنا عن «صالح عبدالحى» كذلك.

وأخيرا ، سلام عليك يوم ولدت ويوم تموت بعد عمر مديد.. ويوم تبعث حيا ، ونعوذ بالله من شر ذلك اليوم المستطير الذى ستعود فيه حيا ، كتابك بشمالك وقلمك الساخر بيمينك!

أو ليست الحياة كلها سخرية في سخرية؟ ألسنا جميعا يسخر بعضنا من بعض؟
وأخيرا مرة أخرى، رسالتى هذه تحية لك.
أسترد على تحيتى هذه بأحسن منها أو مثلها؟ أو على الأقل بأقل منها؟

يحيى عاصم
كاتب سابق
وقارئ لاحق

وتلك الأيام نداولها بين الناس وبين الكتاب والقراء
والقارئين.

يحيى عاصم
YAHYA ASSIM
ALVEN PALACE HOTEL
R. JACOB RICHLIN 208
JOINVILLE - S.C.¹
BRAZIL

رقم الإيداع ١٠٩٨٩ / ٩٥
I. S. B. N الترقيم الدولى
977 - 08 - 0269 - 7